الحقيقة الغائبة

تأليف الدكتورة
سهير العلايلي

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ ـ ٥٤٤٦٤٩٦

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ١٨٩١١ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى

977 - 331 - 070 - 1

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، فهو أرحم الراحمين ، فقد أرسل إلينا الرسل ، وبيّن لنا في الكتب ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ (٣) .

أما بعد :

فهو علم علمني الله إياه بفضله وكرمه ورحمته ولا فضل لي به ، والعلم أمانة لابدّ أن يؤديها كل ذي علم إلى الناس ، ويعلمهم ما علّمه الله ، وفوق كل ذي علم عليم ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٥٣ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٥٩ » .
(٣) سورة الحشر الآيات « ١٩ ، ٢٠ » .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) ﴾ [١] .

فالله الحمد والمنّة على ما هدانا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين الذين بلغنا عن رب العالمين .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٥٩ » .

الله الخالق

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [٢] .

فنحن في هذه الدنيا في دار ابتلاء ، نخرج منها إلى دار الخلود ، فإما محسن فيكون مآله الجنة خالداً فيها ، وإما مُسيء – والعياذ بالله – فمآله إلى النار خالداً فيها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [٣] .

فالله خلق الجن والإنس لعبادته وحده وسخّر لهم السماوات والأرض ومن فيهن ليعينهم على العبادة ، وتكفل برزقهم ورزق من خُلق من أجلهم ، إلا أن الأمر اختلط على كثير من الناس وظنوا أنهم خُلقوا من أجل السعي على الرزق فقط ، فكان همهم الدنيا ونسوا أنهم خُلقوا للآخرة .

فعبادة الله مقدمة على السعي على الرزق ، صحيح أن السعى على الرزق عبادة بعد عبادة الله ، إلا أن عبادة الله مقدمة على السعى على الرزق .

---

(١) سورة الملك الآية « ٢ » .
(٢) سورة هود الآية « ٧ » .
(٣) سورة الذاريات الآيات « ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ » .

قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾ (٢) .

إن المسلمين فى عصرنا الحالى فى أشدّ الحاجة إلى تصحيح العقيدة بعدما دخل عليها كثير من المعتقدات الفاسدة نتيجة لاختلاطهم بشعوب غير مسلمة، بالإضافة إلى : عدم الاهتمام بتعلم علوم الدين كما يجب ، والاهتمام بعلوم الدنيا أكثر لإنبهارهم بالتقدم العلمى للشعوب الملحدة وهى فتنة .

واعتقدوا أن علوم الدنيا وحدها هى سبيل التقدم ، فإنْ صدق هذا الاعتقاد على الآخرين فلا يصدق على المسلمين ، لأن فى أيديهم كتابٌ مَنْ عمل به فاز بخيري الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ (٣) .

وجرى المسلمون وراء هذا الاعتقاد وأخذوا من الآخرين كل شيء دون أن يردوه إلى كتاب الله والسُّنة ، فأصبح المسلم بعيداً عن دينه ، بعيداً عن ربه ، يقيم الشعائر معتقداً أنه بإقامتها أصبح مسلماً .

---

(١) سورة النور الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .
(٢) سورة الجمعة الآيات « ١٠ ، ١١ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٣٤ » .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [١] .

ناهيك عن الذين لا يقيمون الشعائر ويعتقدون أنهم مسلمون ، فمن ترك واحدة منها خرج من الملّة .

أركان الإسلام :

١ – شهادة أن لا إله إلا الله .
٢ – إقام الصلاة .
٣ – صوم رمضان .
٤ – إيتاء الزكاة .
٥ – حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

الإيمـان :

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

الإحسان :

أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهى درجة المراقبة وهى أعلى درجات الإيمان .

قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٧٧ » .
(٢) سورة الحجرات الآية « ١٤ » .

فالإسلام هو إقامة الشعائر ، أما الإيمان فهو الإنقياد والطاعة والعمل بشرع الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [١] ، أما المنافق فلا ينقاد إلى شرع الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٢] ، فالكفر ضد الإيمان ، وهو جحود وعناد واستكبار على أوامر الله ورسوله .

وهناك كفران :

أ - كفر أكبر وهو يخرج من الملّة ، وهو الكفر الاعتقادى .

ب - كفر أصغر ينافى كمال الإيمان ، ولكن الاعتقاد سليم .

● الكفر الأكبر :

الإيمان قول وعمل [٣] ، قول القلب : أى اعتقادة ، وقول اللسان .

فقول القلب هو التصديق ، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين ، وعمل القلب هو النية والإخلاص ، وعمل الجوارح هو الانقياد لهذه النية بفعل

---

(١) سورة النور الآية « ٥١ » .
(٢) سورة النور الآية « ٤٨ » .
(٣) الإيمان عند أهل السُّنة : « اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان » ، وخالف أبو حنيفة فقال : الإيمان الاعتقاد ، والنطق العمل من لوازم الإيمان ولا يدخل فى مسماه ، وذهب فريق إلى أن الإيمان : مجرد التصديق فقط ولو لم يكن معه قول ولا عمل . وهذا مذهب الجهمية والأشعرية ، وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو القول فقط .
ارجع إلى : شرح الطحاوية « ص ٣٧٣ » ، والملل والنحل للشهرستانى « ١/ ١٤٠ » .

الطاعات ، فإذا زالت جميعها زال الإيمان .

- **الكفر الأصغر :**

هى كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء الإيمان ، كقول الرسول ﷺ : « **لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٩) ﴾ [(٢)] ، فأثبت الله لهم الإيمان .

ويكفر العبد بالمعاصى إذا استحلها وجاهر بها ، فهو تكذيب بالكتاب ، ويكفر إن استحلها وإن لم يفعلها ، وأما فعلها فى غفلة وهو يعتقد حرمتها فهذا نقص فى الإيمان .

- **أقسام الكفر الاعتقادى :**

١ - كفر جهل وتكذيب . ٢ - كفر عناد واستكبار .

٣ - كفر جحود . ٤ - كفر نفاق .

١ - كفر الجهل والتكذيب : قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (٧٠) ﴾ [(٣)] .

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخارى « ٧٠٨٠ » ، ومسلم « ٦٥ » ، ومن ذلك قوله ﷺ : « **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** » ، والحديث عند البخارى « ٤٨ » وقوله ﷺ : « أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً ، فإن كان كافراً وإلا كان هو الكافر » ، أخرجه أبو داود « ٤٦٨٧ » واللفظ له ، وأحمد « ٢٣/٢ » وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود « ٣٩٢١ » .

(٢) سورة الحجرات الآية « ٩ » .

(٣) سورة غافر الآية « ٧٠ » .

٢ – كفر الجحود : هو كتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهراً ومعرفته باطناً ، ككفر فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (١) .

٣ – كفر العناد والاستكبار: هو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به ،ككفر إبليس ، قال تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(٢) ، فهو اعتراض على حكم الله له بالسجود لآدم ، فقال : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ (٣) ، استكباراً على أمر الله ، وكل من فعل ذلك فهو على شاكلته .

٤ – كفر النفاق : هو عدم تصديق القلب والانقياد بالعمل ظاهراً رئاء الناس كابن سلول وحزبه إذ قال الله تعالى فيهم ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) ﴾ (٤) ، وهؤلاء فى الدرك الأسفل من النار لأنهم أشد ضرراً على الدين من الكافر الذى يجاهر بكفره ، فعمله لا يكون حجة على الدين بعكس المنافق .

● **الكفر الأصغر :**

الذى يُنقص الإيمان ولا يُخرج من الملة وينقسم إلى :

١ – ظلم . ٢ – فسوق . ٣ – نفاق .

---

(١) سورة النمل الآية « ١٤ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٣٤ » .
(٣) سورة الإسراء الآية « ٦١ » .
(٤) سورة البقرة الآية « ١٠ » .

وكل منهم ينقسم إلى أكبر وأصغر :

* الظلم الأكبر : ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾ [(١)] .

* والظلم الأصغر كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [(٢)] .

* والفسق الأكبر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [(٣)] .

* والفسق الأصغر : كقوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) ﴾ [(٤)] .

* والنفاق الأكبر كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) ﴾ [(٥)] .

* والأصغر مثل قوله ﷺ : « اية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » [(٦)] .

---

(١) سورة يونس الآية « ١٠٦ » .
(٢) سورة الطلاق الآية « ١ » .
(٣) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .
(٤) سورة النور الآية « ٤ » .
(٥) سورة النساء الآيات « ١٤٢ - ١٤٣ » .
(٦) متفق عليه : أخرجه البخارى « ٣٤ » ومسلم « ٥٨ » .

حكم تارك الصلاة :

من ترك الصلاة إنكاراً لها كفر بإجماع المسلمين ، أما من تركها تكاسلاً مع اعتقاده بفرضيتها بما لا يُعد فى الشرع عذراً فقد صرحت الأحاديث بكفره ، وكذلك إن أخرها عن وقتها بغير عذر شرعى [(١)] .

قال تعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** (٥٩) ﴾ [(٢)] .

فى تفسير الآية قيل : تأخيرها عن وقتها وليس تركها بالكلية .

أما الأحاديث فقال ﷺ : « **بين الرجل والكفر ترك الصلاة** » [(٣)] .

---

(١) جاء فى بداية المجتهد « ١/٢٢٦-٢٢٨ » بتصرف : « وأماما الواجب على من تركها عمداً وأمر بها فأبى أن يصليها لا حجوداً لفرضها ، فإن قوماً قالوا : يقتل ، وقوماً قالوا : يعزر ويحبس ، والذين قالوا : يقتل : منهم من أوجب قتله كفراً ، وهو مذهب أحمد وإسحاق وابن المبارك ، ومنهم من أوجبه حداً وهو مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابه ، وأهل الظاهرة ممن رأى حبسه وتعزيره حتى يصلى ، والسبب فى هذا الاختلاف اختلاف الآثار ، وذلك أنه ثبت عنه ﷺ أنه قال : « **لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس** » ، وروى عنه ﷺ من حديث بريدة أنه قال : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » ، وحديث جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس بين العبد وبين الكفر أو قال : - الشرك - إلا ترك الصلاة » ، فمن فهم من الكفر هاهنا الكفر الحقيقى ، جعل هذا الحديث كأنه تفسير لقوله ﷺ : « **كفر بعد إيمان** » ، ومن فهم ها هنا التغليظ والتوبيخ أى أن أفعاله أفعال كافر ، وأنه فى صورة كافر كما قال : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** » ، لم ير قتله كفراً ، وأما من قال : يقتل حداً فضعيف ولا مستند له إلا قياس شبه ضعيف إن أمكن ، وهو تشبيه الصلاة بالقتل فى كون الصلاة رأس المأمورات ، والقتل رأس المنهيات » . أ هـ .

(٢) سورة مريم الآية « ٥٩ » .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم س ١٣٤ » .

وقال ﷺ : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر** »[١] .

حكم تارك الزكاة :

قال ﷺ : « مانع الزكاة يوم القيامة فى النار »[٢] ، إن كان مانعها من لا شوكة له أخذها الإمام قهراً .

وقال ﷺ : « **من منعها فإنّا آخذوها وشطر ماله** »[٣] ، عقاباً له ، وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم كما فعل أبو بكر فى حرب الردة[٤] .

حكم من فطر جهراً فى شهر رمضان بدون عذر :

فإن الحاكم يؤدبه حتى يكون زاجراً له ولأمثاله[٥] .

وأما الحج فالعمر كله وقت ، والواجب المبادرة بأدائه .

وهناك أشياء إذا فعلها المسلم خرج من الملّة بإجماع العلماء :

١ - إنكار ركن من أركان الإسلام الخمسة ، كما سبق أو أى شىء معلوم من الدين بالضرورة نزل به القرآن أو أمر به الرسول ﷺ .

٢ - كراهية الإسلام أو شىء من التعاليم فى العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴿٩﴾ ﴾[٦] .

---

(١) حديث صحيح : أبو داود « ٤٦٧٨ » والترمذى « ٢٦١٨ » وابن ماجة « ١٠٧٨ » والدرامى « ٢٨٠/١ » وأحمد « ٣٧٠/٣ و ٣٨٩ » .

(٢) حديث حسن : ذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٥٨٠٧ » .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : بداية المجتهد « ٦٣/٢ ط مكتبة ابن تيمية القاهرة » .

(٥) انظر : بداية المجتهد « ١٧٩/٢ - ١٨٦ » ففيها تفصيل وبيان .

(٦) سورة محمد ﷺ الآية « ٩ » .

٣ – الإستهزاء بشيء من القرآن أو الحديث الصحيح أو بحكم من أحكام الشرع ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [١] .

٤ – إنكار شيء من القرآن أو الأحاديث الصحيحة مما يوجب الردة إذا تعمد ذلك .

٥ – سبّ الله – عز وجل – أو لعن الدين ، أو سبّ الرسول ﷺ .

٦ – الحلف بغير الله تعالى إذا أصرّ ، لقوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » [٢] .

٧ – تعليق التمائم والودع منعاً للحسد ، واعتقاده أنها تنفع أو تمنع شراً ، قال ﷺ : « **من علق تميمة فقد أشرك** » [٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [٤] .

٨ – السحر ، فقد عدّه ﷺ من السبع الموبقات [٥] ، وإن أتى عرافاً وصدقه ، قال ﷺ : « **من أتى عرافاً لم تقبل صلاته أربعين يوماً ، وإن صدقه**

---

(١) سورة التوبة الآيات « ٦٥ ، ٦٦ » .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى « ١٥٣٩ » ، وأبو داود « ٣٢٥١ » وأحمد «٣٤/٢» وصححه الحاكم « ٢٩٧/٤ » وابن حبان « ١١٢٧ » ، والألبانى فى الإرواء « ٢٥٦١ » ، وكما هو بين من الحديث : جزاء من حلف بغير الله ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : « لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً » ، وهذه أثر صحيح قال الهيثمى فى المجمع « ١٧٧/٤» : رواه الطبرانى فى « الكبير » ورجاله رجال الصحيح ، وهو صحيح كما قال الألبانى فى الإرواء «٢٥٦٢ » . وارجع إلى : فتح المجيد « ٣٩٣ » ط دار الصميعى .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد « ١٥٦/٤ » والحاكم « ٢١٩/٤ » .

(٤) سورة يوسف الآية « ١٠٦ » .

(٥) من حديث أبى هريرة « أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله وماهنّ ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ،** وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ، والحديث رواه البخارى «٢٧٦٦» ومسلم « ٨٩ » .

فقد كفر بما أنزل على محمد » [١] .

الإيمان بالقضاء والقدر خير وشره :

والقدر : هو ما قدره الله - عز وجل - على الإنسان فى اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)** ﴾ [٢] .

وخلق القلم وقال له : اكتب ، فكتب فى اللوح المحفوظ أقدار العباد .

قال ﷺ : « **إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ، ثم مسح على ظهره بيمينه حتى استخرج من ذريته ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج من ذريته وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون** » [٣] .

وذلك بعمله الأزلى ، عرف أن هؤلاء سيكونون من أهل النار ولن يهتدوا ، وأن الآخرين سيكونون من المهتدين .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ**

---

(١) ونص الحديث : « **من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة** » أخرجه مسلم « ٢٢٣٠ » وبلفظ « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » ، رواه أبو داود « ٣٩٠٤ » والترمذى « ١٣٥ » وابن ماجة « ٦٣٩ » وهو صحيح .

(٢) سورة فصلت الآيات « ٩ - ١١ » .

(٣) **حديث صحيح** : رواه أبو داود « ٤٧٠٣ » والترمذى « ٣٠٧٥ » .

أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) ﴾[١] .

وقال ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** »[٢] ، وقال الصحابة ففيم العمل يارسول الله إن كان أمر قد فُرغ منه ؟ قال ﷺ : « **سددوا وقاربوا ، فكل ميسر لما خلق له** »[٣] .

والحكمة من ذلك والله أعلم : حتى لا يغتر محسن بعمله فلا يزيد ولا ييأس مذنب من رحمة الله فلا يتوب .

قال ﷺ : « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان** »[٤] .

فالذى يندم على شيء غير مصدق بالقضاء والقدر ، وقد قالها المنافقون ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ**

---

(١) سورة النجم الآية « ٣٢ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٣٢٠٨ » ومسلم « ٢٦٤٣ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٥٩٦ » ومسلم « ٢٦٤٩ » .
(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٦٦٤ » .

الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾ [١] .

والحكمة أيضاً من عدم معرفة القدر وهى أن يعلم الله عند الشدائد ، المؤمن من المنافق فتكون حجة عليه .

وأما الحكمة الثالثة لكى يكون المؤمن شجاعاً لا يهاب الموت ، فالأجل مقدر لذا يكون أكثر إقداماً أو ثبوتاً على الحق ، أما الكافر فهو جبان لا يحارب إلا من وراء حصون ، قال تعالى ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [٢] .

وكذلك التوازن النفسى ، فلا يكون شديد الفرح فى المسرات ولا شديد الحزن فى الملمات لعلمه بأن كل شيء بقدر الله .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [٣] .

قال ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير ، إن أصابه خيراً صبر

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٥٤ » .
(٢) سورة الحشر الآية « ١٤ » .
(٣) سورة الحديد الآيات « ٢٢ ، ٢٣ » .

فكان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له » [١] .

أما الكافر المستكبر على طاعة الله عز وجل تجده يجزع فى الشدائد ويطغى فى المسرات .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢)** ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)** ﴾ [٣] .

فالإيمان يشكل شخصية المسلم ، فيكون شجاعاً مقداماً مطمئن النفس راضٍ فى كل الأحوال عن حاله وعن ربه .

العلاقة بين قدر الإنسان وعمله :

كما سبق أن بيننا أن قدر الإنسان كُتب فى اللوح المحفوظ قبل أن يولد إلا أن الله عز وجل يعلم من سيكون من المهتدين ، ومن سيكون من الكافرين ، وعلى ذلك كتب قدره فهناك صلة وثيقة بين عمل الإنسان وقدره وإلا كان لا فائدة من العمل وكان الإتكال على القدر .

سأل رجل رسول الله ﷺ عن ناقته أيتركها ويتوكل أم يعقلها ؟ قال ﷺ : **« اعقلها وتوكل »** [٤] .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٩٩٩ » .
(٢) سورة المعارج الآيات « ١٩ - ٢٢ » .
(٣) سورة الحج الآية « ١١ » .
(٤) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ١٥١٧ » وحسنه الألبانى فى المشكاة برقم « ٢٢ » وصحيح الجامع برقم « ١٠٦٨ » .

وقال ﷺ لابن عباس : « **يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإن استعنت فاستعن بالله ، وإن استعذت فاستعذ بالله ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » [(١)] .

فهذا معنى الإتكال على الله ، أن يحرص الإنسان على ما ينفعه في الدنيا والآخرة ثم يتوكل على الله ، ثم يرضى بعد ذلك بالنتائج فهي من قدر الله عز وجل ، فإن عمل الإنسان خيراً يضاعفه الله أضعافاً كثيرة ويجد الخير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [(٢)] ، وإن وجد سيئة فبما كسبت يداه ، ويعفوا ربنا بفضله وكرمه عن الكثير ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٣)] .

وقال ﷺ : « **إني لأحسب الرجل ينسى العلم للخطيئة يعملها** » [(٤)] .

وقال ﷺ : « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** » [(٥)] .

وقال ﷺ : « **كل بني آدم خطاءون وخيرهم التوابون** » [(٦)] .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي « ٢٥١٦ » وصححه الألباني ف صحيح الجامع برقم « ٧٨٣٤ » .
(٢) سورة النحل الآية « ٩٧ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٤) لم أقف عليه .
(٥) **حديث حسن** : أخرجه ابن ماجة « ٤٠٢٢ » وأحمد « ٢٧٧/٥ » وابن أبي شيبة « ٢/١٥٧/١٢ » ، والبيهقي في السنن « ٨٩/١٠ » .
(٦) **حديث صحيح**: أخرجه الترمذي « ٢٤٩٩ » وابن ماجة « ٤٢٥١ » وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم « ٤٥١٥ » وفي المشكاة برقم « ٢٣٤١ » .

لذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [(١)] .

أما الحسنات يضاعفها الله بفضله وكرمه أضعافاً كثيرة ، بل يبدل الله الحسنات سيئات لمن تاب توبة نصوحاً .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [(٢)] ، فالله برحمته يحاسبنا على القليل من السيئات ، ويغدق علينا الحسنات ، فلو حسبنا ذلك وأضفنا إليه نعم الله التى لا تعد ولا تحصى لوجدنا أنفسنا مدينين لله عز وجل مهما قدمنا من أعمال صالحة وعبادات ، ولو قمنا ليلنا كله وصمنا نهارنا كله ما وفينا ربنا حقه فى الشكر ، فإن نعمة واحدة وهى نعمة البصر رجحت كفتها أمام عمل عابد عبد الله خمسمائة عام ، كما جاء فى حديث الرسول ﷺ .

فنحن فى هذه الدنيا نمشى على الأرض برحمته – عز وجل – وندخل الجنة إن شاء الله برحمته – عز وجل – لا بأعمالنا مهما كثرت .

قال ﷺ : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » [(٣)] .

ولكن للأسف تجد الإنسان يرجع ما يصيبه من شر إلى القدر ، وأما الحسنات فيرجعها إلى عمله ، وذلك من الشيطان حتى لا يحاسب نفسه

---

(١) سورة فاطر الآية « ٤٥ » .
(٢) سورة الفرقان الآية « ٧٠ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨١٧ » .

ويستغفر الله ويتوب .

ويسبُّ الدهر ويقول : هذا زمن أغبر ، وهذا يوم أسود ... إلخ ... ، وهو لا يعلم أنه يسب ربه ، قال ﷺ عن رب العزة : « **يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار** » [(١)] .

فالله عز وجل لا يظلم أحدا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

قال ﷺ عن رب العزة فى حديث طويل : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ... إلى أن قال : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه** » [(٢)] ، فالخير كل الخير من الله عز وجل ، وأما السيئات فبسبب ما اقترف الإنسان من سيئات ، قال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً (٧٩)** ﴾ [(٣)] .

ولما عرف الصحابة ذلك كانوا يخشون ربهم ولا يغترون بأعمالهم ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه المبشر بالجنة ، والذى يزن إيمانه إيمان الأمة ، يقول : لو أن إحدى قدمى فى الجنة لخشيت ألاّ تدخل الأخرى .

وأما عمر رضي الله عنه فكان يقول : لو نودى على أهل الجنة إلا واحد لخفت أن أكون أنا هو ، ولو نودى على أهل النار فدخلوا إلا واحد لرجوت ألاّ أكون أنا هو .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦١٨١ » ومسلم « ٢٢٤٦ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٥٧٧ » .
(٣) سورة النساء الآية « ٧٩ » .

لماذا يهدي الله إنسان ويضل آخر ؟!!

كما سبق أن بينا أن هناك علاقة بين عمل الإنسان وقدره ، وقد أرسل ربنا عز وجل إلينا الرسل والكتب لهداية الناس ، فمنهم من قبلها وعمل بها ، ومنهم من لم يقبلها وكذب بها .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)** ﴾ [١] ، فمن عمل بما علم علمه الله وزاده علماً وزاده هدى ، إما عن طريق عالم ، أو عن طريق كتاب ، أو يلهم رشده عن طريق الملك الموكل به .

قال ﷺ : « **من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم** » [٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)** ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦)** ﴾ [٤] .

وقال ﷺ : « **من جاء موعظة من الله فهي نعمة ساقها الله إليه ، فمن قبلها وعمل بها كانت له نوراً ، ومن أعرض عنها إزداد بها إثماً وكانت حجة عليه**

---

(١) سورة الأنعام الآيات « ٤٨ ، ٤٩ » .
(٢) عزاه في الدر المنثور إلى الحلية لأبي نعمي « ١٥/١٠ » وقد أورد الخبر أبو نعيم من طريق أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل .
(٣) سورة محمد ﷺ الآية « ١٧ » .

ولم يزدد بها من الله إلا بعداً » (١) ، فمن أعرض عن الله ، أعرض الله عنه ، ومن أصر على المعاصى طبع الله على قلبه وقيض له شيطاناً فهو له قرين .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ (٤) .

فالذين اتبعوا أهواءهم يطبع الله على قلوبهم فلا يفقهون علماً ، حتى ولو كانوا فى حضرة الرسول ﷺ ، أما الذين آتاهم الله العلم يفقهوا ويعملوا بما علموا ، أما كيفية الطبع على القلب فيوضحها الرسول ﷺ فى حديثه : « من أذنب ذنباً نُكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد وأصر زاد حتى يعلوا قلبه وذلك الران » (٥) ، وتلى ﷺ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ (٦) .

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) سورة الزخرف الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .
(٣) سورة الجاثية الآية « ٢٣ » .
(٤) سورة محمد ﷺ الآية « ١٦ » .
(٥) حديث حسن : أخرجه الترمذى «٣٣٣٤» وحسنه الألبانى فى الترغيب والترهيب «٢٩٨/٢» .
(٦) سورة المطففين الآية « ١٤ » .

والذى يطبع الله على قلبه يرى الحق باطل ، والباطل حق ، حتى إذا مات انكشف عنه الغطاء فيرى ما كان عليه من باطل فيندم حيث لا ينفع الندم .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(١)] .

ولنضرب مثلاً يوضح لماذا يضل الله الفاسقين والكافرين :

إذا سألك سائل عن عنوان منزل مثلاً أنت تعرفه فسوف تدله عليه ، فإذا سار فى الطريق الذى وصفته له سوف تزيده دلالة بأن تعطيه علامة كاسم محل يقطن تحته مثلاً ، أما إذا سار فى طريق غير الذى وصفته فسوف تتركه وشأنه فهو لا يريد أن يصدق ما وصفته له .

لماذا يعطى الله الكافرين والظالمين فى الدنيا ، فى حين يحرم بعض الصالحين منها ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال :

أولاً : لأن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة كما قال ﷺ : « **لو أن الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها شربة ماء** » [(٢)] .

ثانياً : حتى يزداد إثماً وطغياناً وغروراً ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴿١٧٨﴾ ﴾ [(٣)] ، فالله يعطيهم فى الدنيا بأعمالهم الصالحة ، أما الآخرة

---

(١) سورة الزخرف الآية « ٣٨ » .
(٢) صحيح بشواهده : أخرجه الترمذى « ٢٣٢٠ » والحاكم « ٣٠٦/٤ » والألبانى فى الصحيحة «٩٤٣» .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٧٨ » .

ليس لهم فيها نصيب ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[١] ، وهو كذلك إملاء واستدراج ، حتى إذا أخذه أخذ عزيز مقتدر ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) ﴾[٢] .

وقال ﷺ : « إذا رأيت العبد يعطيه الله وهو مصرٌ على المعصية فاعلم أنه إملاء »[٣] .

كما أن الدنيا للكافر ممكن أن تكون عذاباً لهم .

قال تعالى : ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾[٤] ، كأن يكونوا أبناء عاقين ، وأموالاً يخسروها فيتحسروا عليها ، أما المؤمن فيبتليه الله بالشدائد في الدنيا ليكفر بها من سيئاته ويرفع بها درجاته ويزداد إيماناً بالصبر والتضرع إلى الله عز وجل .

قـــال ﷺ : « إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه ، وإن رضي اصطفاه »[٥] .

---

(١) سورة الشورى الآية « ٢٠ » .
(٢) سورة الأعراف الآيات « ١٨٢ ، ١٨٣ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٤٥/٤ » وهو في صحيح الجامع رقم « ٥٦١ » والصحيحة برقم « ٤١٣ » بلفظ : « إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج » .
(٤) سورة التوبة الآية « ٥٥ » .
(٥) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجة « ٤٠٣١ » وقال الألباني صحيح ..انظر : صحيح الجامع «١٧٠٦» والصحيحة « ١٤٦ » بلفظ : « إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع » .

وقال ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده ، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة** »(١) .

فالمؤمن يكفر الله عنه سيئاته في الدنيا ، وأما أحسن أعماله يدخرها له في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)** ﴾(٢) .

أما الكافر يعطيه الله في الدنيا بأحسن أعماله ، ويدخر له في الآخرة أسوأ أعماله ، قال تعالى : ﴿ **فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)** ﴾(٣) .

وليس معنى ذلك أن المؤمن بهذه البلايا يكون في شقاء ، بل العكس لأن سعادته تتمثل في الرضاء بقضاء الله وقدره وعلمه بما عند الله من ثواب فهو يعمل للآخرة ، وهذه معنى الحياة الطيبة ، كما جاء في سورة النحل ، قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾(٤) .

وأما الكافر فسخطه وعدم رضاه بالقضاء والقدر يجعله في شقاء دائم ويتمثل ذلك في ضيق الصدر والإكتئاب النفسي ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾(٥) .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي « ٢٤٠١ » والحاكم « ٣٤٦/١ » وأحمد « ٤٥٠/٢ » وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم « ٥٨١٥ » والصحيحة برقم « ٢٢٨٠ » .
(٢) سورة العنكبوت الآية « ٧ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٢٧ » .
(٤) سورة النحل الآية « ٩٧ » .
(٥) سورة طه الآية « ١٢٤ » .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [٢] .

وليس معنى ذلك أيضاً أن الله لا يعطى من نعيم الدنيا للمؤمن ، بل يعطى لمن يشاء، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ [٣] .

وقال ﷺ : « **إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها** » [٤] .

وقال ﷺ : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** » [٥] .

إلا أن مشيئة الله عز وجل أن يكون الناس مختلفين فى درجات الغنى والفقر والصحة والجاه وذلك ليبتليهم بما آتاهم .

---

(١) سورة الشورى الآية « ٤٨ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٢٥ » .
(٣) سورة الطلاق الآيات « ٢ ، ٣ » .
(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨٠٨ » .
(٥) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٩٧/٤ » .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] .

وكذلك لحاجة كل منهم للآخر ، فالفقير فى حاجة إلى مال الغنى ، والغنى فى حاجة لمساعدة الفقير له ، قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [(٢)] .

والله ينصر المؤمنون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) ﴾ [(٣)] ، إلا إنه إذا تساوى المسلمون والكافرون فى المعصية نصر الله الكافرين على المسلمين حتى يعودوا إلى الله عز وجل ويستنصروه بالطاعة ، وابتلاء ربنا عز وجل بالحسنات والسيئات لعل المسيء يرجع إلى الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) ﴾ [(٤)] . وكذلك ليظهر صدق الإيمان وكذبه .

قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٦٥ » .
(٢) سورة الزخرف الآية « ٣٢ » .
(٣) سورة غافر الآية « ٥١ » .
(٤) سورة الأعراف الآية « ١٦٨ » .
(٥) سورة العنكبوت الآيات « ٢ ، ٣ » .

القدر والدعاء :

رغم أن قدر الإنسان كتب عليه قبل أن يولد في اللوح المحفوظ إلا أن الدعاء يرد القدر أو هو من القدر .

قال ﷺ : « **لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر** » (١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)** ﴾ (٢) .

فقد سمى الله الدعاء عباده وأنه يغضب على من لا يدعوه .

وقال ﷺ : « **الدعاء مخ العبادة** » (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)** ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (٥) .

قال ﷺ : « **لا يغني حذر من قدر ، وإن الدعاء لينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، فما نزل يدفعة ومما لم ينزل يرفعه ، وإن البلاء لينزل وإن الدعاء ليصعد فيعتلجان إلى يوم القيامة** » (٦) . [أي يتدافعان] .

---

(١) حديث ضعيف : أخرجه الترمذى « ٢١٣٩ » والطحاوى « ١٦٩/٤ » فى سنده محمد بن حميدا بن حبان الرازى التميمى .

(٢) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

(٣) حديث ضعيف : انفرد به الترمذى « ٣٣٧١ » وفى إسناده ابن لهيعة ، ولكن من حديث النعمان ابن بشير بلفظ « الدعاء هو العبادة » فصحيح، أخرجه الترمذى « ٣٣٧٢ » وابن ماجة «٣٨٢٨».

(٤) سورة البقرة الآية « ١٨٦ » .

(٥) سورة الأعراف الآية « ٥٥ » .

(٦) حديث حسن : صحيح الجامع رقم « ٧٧٣٩ » والمشكاة برقم « ٣٢٣٤ » .

فالدعاء يعنى ذل العبد وحاجته إلى ربه ، وخاصة إذا كان يتضرع ، ولذا سمى عبادة لأنه إقرار بعبودية الإنسان لربه وأنه بيده الأمر كله ، والمؤمن إذا دعا ربه لابد وأن يرجع بشيء .

قال ﷺ : « **ما من مسلم يدعو ربه بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما يعجل له فى الدنيا دعوته ، وإما يدخرها له فى الآخرة ، وإما يصرف عنه عن السوء مثلها** ، قالوا : إذاً نكثر ، **قال : الله أكثر** » [(١)] .

فإذا أحب الله العبد الحب كله أخرَ له الدعاء للآخرة حتى يحميه من الدنيا ، قال ﷺ عن رب العزة : « **إن من عبادى من إن سألنى الجنة بحذافيرها أعطيته إياها ، وإن سألنى جراب سوط لم أعطه ، ليس ذلك هوان منه عليّ ، ولكن حتى أحميه من الدنيا كما يحمى الراعي غنمه من مراعي السوء** » .

ويستجيب الله للكافر كما يستجيب للمؤمن إلا أنه يعطيه فى الدنيا فقط ، ولا يدخر له منها شيئاً فى الآخرة ، ويظن الكافر أن الله استجاب له لحبه ، وهذا من الإملاء كما سبق أن أوضحنا ، كما أن الله يستجيب له حتى لا يسمع صوته ، أما المؤمن يدخر له الدعوات لأنه يحب أن يسمع صوته .

قال ﷺ : « **إن الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه** » .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١٨/٣ » .

إلا أن لإجابة الدعاء شروط :

١ – أن يدعو المؤمن بما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ولا يدعو بإثم أو قطيعة رحم وأن يعمم فى الدعاء ، ولا يدعو بما يضره يأساً وقنوطاً من رحمة الله عز وجل ، كأن يدعو على ماله أو ولده ، ولكن يدعو لهم بالهداية .

قال ﷺ : « **لا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم أن تكون ساعة إجابة** » (١) .

٢ – أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة ، وأن الله على كل شىء قدير ، وألا يستعجل وأن يلح فى الدعاء .

قال ﷺ : « **ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يسمع من قلب لاهٍ – يعنى مشغول بهمّ الدنيا** » (٢) .

٣ – أن يكون مطعمه حلال ، قال ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « **يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** » .

٤ – أن يبدأ بالحمد والاستغفار والتوبة والصلاة على النبى ﷺ ويختمه كذلك بهما .

٥ – أن يتحين الأوقات التى يستجاب فيها ، مثل ليلة القدر ، والثلث الأخير من الليل ، وعقب الصلاة المكتوبة ، وبين الآذان والإقامة ، وعند شرب ماء زمزم وفى السجود ، وقال ﷺ : « **ينزل ربكم فى الثلث الآخر من الليل**

---

(١) حديث صحيح : ونصه : « **لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم** » ، والحديث عند ابن حبان برقم « ٢٤١١ » وصحيح الجامع برقم « ٧٢٦٧ » .

(٢) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ٣٤٧٩ » ، وقال الألبانى : حسن « ٢٧٦٦ » .

إلى السماء الأول فيقول : هل من داعٍ فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له إلى أن يطلع الفجر » [١] ، وقال ﷺ : « **لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة** » [٢] .

٦ – المداومة على الطاعات والإكثار من النوافل .

٧ – المداومة على الدعاء فى السراء والضراء ، قال ﷺ : « **من سرّه أن يستجيب الله له فى الشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء** » [٣] ، ولا يكن كالذى قال الله تعالى فيهم ﴿ **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ** ﴿٥١﴾ ﴾ [٤] ، كذلك لا يترك الدعاء يأساً من رحمة الله حتى لا يكون كالذين قال الله فيهم : ﴿ **لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ** ﴿٤٩﴾ ﴾ [٥] .

٨ – أن تدعو الله بأسمائه الحسنى كما أمرنا ، قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٨٠﴾ ﴾ [٦] ، وهناك بعض الأسماء إذا دعا العبد بها كانت الإجابة – إن شاء الله –مثل : ياذا الجلال والإكرام ، ياحى ياقيوم ، يا أرحم الراحمين. ثلاثاً .

٩ – أن يكون الدعاد بتضرع وذل ومسكنة ، دعاء عبدذليل من سيده

---

(١) حديث حسن : أخرجه مسلم « ٧٥٨ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ١١٩/٣ » وأبو داود « ٥٢١ » والترمذى « ٢١٢ » .
(٣) حديث حسن : أخرجه الترمذى « ٣٣٨٢ » وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع «٦٢٩٠ » .
(٤) سورة فصلت الآية « ٥ » .
(٥) سورة فصلت الآية « ٤٩ » .
(٦) سورة الأعراف الآية « ١٨٠ » .

صاحب الأفضال والنعم ، وأن يكون في السر ، فالله سميع عليم ، لذا كان أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد .

قال ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد فأكثروا فيه الدعاء** » (١).

وقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)** ﴾ (٢) .

فمن صفات المؤمنين أنهم دائمي التضرع إلى الله رغباً فيما عنده ورهباً من عذابه ، قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ (٣) .

ومن صفات الكافرين أنهم يستكبرون على الله ولا يدعونه ولا يتضرعون إليه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)** ﴾ (٤) .

القدر والاستغفار :

الاستغفار والتوبة أرجى عند الله من الدعاء، لأن الدعاء لا يستجيبه الله عز وجل من عبد عاصٍ ، وإن استجاب له كان أملاء وليس حباً فيه ، لذا كان لابد من التوبة والاستغفار قبل الدعاء .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)** ﴾ (٥) .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٤٨٢ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٢٠٥ » .
(٣) سورة الأنبياء الآية « ٩٠ » .
(٤) سورة المؤمنون الآية « ٧٦ » .
(٥) سورة الأنفال الآية « ٣٣ » .

وقال ﷺ : « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب** » [١] .

وقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾** ﴾ [٢] .

فالاستغفار يمحو الذنوب أولاً بأول فلا يبقى عليه خطيئة يعذبه الله بها ، فيرزقه الله من حيث لا يحتسب ويبارك له فى رزقه ، فالاستغفار من القدر وهو يمنع القدر ، قال تعالى فى قصة يونس عليه السلام : ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾** ﴾ [٣] .

وهكذا وفقه الله فدفع قدر العقوبة بقدر التوبة والاستغفار ، وزاد بالتسبيح ولم ييأس فى هذا المكان المظلم من رحمة الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ [٤] .

والذى يستغفر ربه لابد له من توبة ، ولا يكون باللسان فقط ، وإلا كان كالمستهزئ بربه وهو أيضاً من الغباء .

ولنأخذ مثال على ذلك لتقريب هذا المفهوم : هب أنك تقف فى مكان مزدحم وكان بجانبك شخص داس قدمك ثم اعتذر ، فقبلت عذره ، ثم كرر

---

(١) حديث ضعيف : أخرجه أبو داود « ١٥١٨ » وابن ماجة « ٣٨١٩ » والطبرانى فى الكبير «١٠٦٦٥» .
(٢) سورة نوح الآيات «١٠ ، ١١ ، ١٢» .
(٣) سورة الصافات الآية « ١٤٣ ، ١٤٤ » .
(٤) سورة الأنبياء الآية « ٨٧ » .

ذلك مراراً في هذه الحالة لن تقبل عذره وستعتقد أنه يتعمد هذا الفعل أو أنه يستهزئ بك ، فإذا كان هذا الفعل مع الله القادر فهو من الغباء ، ولله المثل الأعلى لذا قيل التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب ، وهو مصرٌ عليه كالمستهزئ بربه ، والله عز وجل لا يغفر للمصرّين على المعاصي .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [1] ، والتوبة لابد أن تكون توبة نصوحاً .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴾ [2] .

شروط التوبة النصوح :

١ – الإقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه .

٢ – الندم عليه .

٣ – إذا كان الذنب متعلق بحقوق العباد وجب التحلل منه إما برده أو بطلب العفو ، فإذا استوفت التوبة شروطها وأتبعها بالعمل الصالح يبدل الله بفضله وكرمه سيئاته حسنات .

قال تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) ﴾ [3] .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٥ » .
(٢) سورة التحريم الآية « ٨ » .
(٣) سورة الفرقان الآية « ٧٠ » .

كما أن التوبة لابد أن تكون من قريب وليحذر التسويف ، ففى هذه الحالة تكون أقرب للقبول .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)** ﴾ [١] .

فالإنسان لا يعلم متى تأتيه منيته ، وعندها لا يقبل الله توبته ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [٢] ، قال ﷺ : « **لا يزال يغفر للعبد مالم يغرغر** » [٣] .

علامة قبول التوبة :

أن يكره الإنسان ما كان عليه من فسق وأهله ، وهم أصدقاء السوء ، ويحب العمل الصالح والصالحين ، ويحبب الله إليه الإيمان فيصبح من الراشدين .

قال تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة النساء الآيات « ١٧ ، ١٨ » .
(٢) سورة لقمان الآية « ٣٤ » .
(٣) حديث حسن : أخرجه ابن ماجه « ٤٢٥٣ » والترمذى « ٣٥٣٧ » ولفظه : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .
(٤) سورة الحجرات الآية « ٧ » .

والله عز وجل يفرح بتوبة العبد وييسر له الطريق إذا كان صادقاً فى توبته ، قال ﷺ : « **لله أفرح بتوبة العبد من أحدكم سقط على بعير وقد أضله فى أرض فلاة** » .

أما الشيطان فيهلكه الاستغفار ، لذا فهو يزين للإنسان الأهواء حتى يظن أنه لا يذنب فلا يستغفر، فيفرح الشيطان ويضحك عليه ويسخر منه ، قال ﷺ : « **إن إبليس قال : أهلكت بن آدم بالذنوب فأهلكنى بالاستغفار فلما وحدث ذلك أهلكته بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون** » [١] ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة أصبح من الأخسرين أعمالاً .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [٢] .

وأما المجاهرة بالمعاصى فهى إجتراء على الله عز وجل وعدم حياء منه ومبارزة له ، لذا لا يغفر الله له لأنه ينشر الرذيلة فتهون فى أعين الناس فيفسق المجتمع كله ، قال ﷺ : « **كل أمتى معافى إلا المجاهرين** » ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله فيكشف ستر الله عليه ، ويقول : **يا فلان عملت البارحة كذا وكذا** » [٣] .

وكما نحن مأمورين بالاستغفار لأنفسنا يجب أن نستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، قال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)** ﴾ [٤] .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى « ٦٣٠٩ » ومسلم « ٢٧٤٧ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ١٠٣ ، ١٠٤ » .
(٣) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى « ٦٠٦٩ » ومسلم « ٢٩٩٠ » .
(٤) سورة محمد ﷺ الآية « ١٩ » .

أما من مات على الكفر أو الفسق فلا يُستغفر لهم ولا يُطلب لهم الرحمة.

قال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

أما عن كيفية الاستغفار فهناك سيد الاستغفار : « **اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » (٢) .

وكذلك من قال : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فاراً من الزحف » (٣) .

والمبادرة بالأعمال الصالحة والطاعات يمحو الله بها السيئات .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) ﴾ (٤) .

وقال ﷺ : « أتبع الحسنة السيئة تمحها » (٥) .

وقال : « **ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غفر له** » (٦) ، ومن الأعمال الصالحة والتى يكفر الله بها السيئات : العفو عن

---

(١) سورة التوبة الآية « ٨٠ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٦٣٠٦ » وفى الأدب المفرد برقم « ٦١٧ » والنسائى فى عمل اليوم والليلة برقم « ١٩ » وأحمد « ١٢٢/٤ » .

(٣) حديث : أخرجه أبو داود « ١٥١٧ » والترمذى « ٣٥٧٧ » .

(٤) سورة هود الآية « ١١٤ » .

(٥) جزء من حديث حسن صحيح : أخرجه الترمذى « ١٩٨٨ » .

(٦) حديث صحيح : أخرجه أبو داود « ١٥٢١ » والترمذى « ٣٠٠٦ » وابن ماجة «١٣٩٥» .

الناس ، وكظم الغيظ والإحسان إلى المسيء وهو من أوسع الأبواب للمغفرة .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ (١) .

التعلق بالجبر :

بعض الناس يظنون أنهم مجبورن على فعل المعاصي وأنهم لا إرادة لهم ، إنما هى إرادة الله ولو شاء الله لهداهم ، وكل ذلك من تلبيس إبليس ، حتى لا يتوبوا إلى الله ، وقد قالها المشركون من قبل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٣٥) ﴾ (٢) ، أى أن الله أرسل إليهم الرسل لهدايتهم إلا أنهم أبوا ، واستحبوا العمى على الهدى ، فليس لهم حجة .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾ (٤) .

فالله أرسل الرسل لئلا يكون للناس حجة على الله ، فمن اهتدى زاده الله هدى ، ومن أعرض أعرض الله عنه وزاده ضلالا ، كما سبق أن أوضحنا .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٣ ، ١٣٤ » .
(٢) سورة النحل الآية « ٣٥ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ١٧ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .

الاغترار بعمل الإنسان الصالح

كثير من الناس يغتر بما عمل من أعمال صالحة ، ويظن أنها سبب فيما أعطاه الله من نعم ، والحقيقة أنها بفضل الله ورحمته .

فالله صاحب الفضل أن وفقه ويسر له عمل الصالحات ، كمثل صاحب العمل الذى استعمل عامل عنده فأجاد عمله وكافأه على هذا العمل ورقاه ، فإن ترقيته هذه ليست بسبب إجتهاده فى العمل لأن صاحب العمل له فضل تشغيله واستعماله فلولا ذلك لما وفق فى الاجتهاد فى العمل ، فكيف يجتهد وهو جالس فى منزله ؟! ، ولله المثل الأعلى بالإضافة إلى ما سبق أن أوضحنا أن الله عز وجل لو حاسب الناس على ذنوبهم ما ترك على ظهر الأرض من دابة ، إلا أنه برحمته يعفو عن الكثير .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) ﴾ (١) ، فالأعمال الصالحة مهما كانت لا تكفى لتكفير هذه الذنوب بالإضافة إلى نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، وأولها نعمة الإيمان والتوفيق للعمل الصالح حتى شُكْر الإنسان ربه لا يكون إلا بفضله وتوفيقه ، لذا كان يدعو سليمان عليه السلام ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ (٢) .

---

(١) سورة فاطر الآية « ٤٥ » .
(٢) سورة النمل الآية « ١٩ » .

وفي المقابل : إذا أصاب الإنسان شر لا يحاسب نفسه ولا يقول هذا مما اقترفته من آثام ، وإنما يرجعها إلى الحظ أو السحر أو الحسد أو إلى القدر ، أو يقنط من رحمة الله ويسب الدهر أو الريح أو الحمى ، وكل ذلك نهانا الرسول الكريم ﷺ عنه فهو كفر ، كما أنه لا يجعله يستغفر الله ويتوب ، فيتوب الله عليه .

التعلق بالحظ :

كثير من الناس يخلط بين القدر والخط ويعتقد أن هناك إنسان محظوظ وآخر غير محظوظ ، وذلك لحكمهم بظاهر الحياة الدنيا ، لأنهم لا يريدون الآخرة ، أما السعيد الحقيقي هو من هداه الله ووفقه لفعل الطاعات ورضى بما قسمه الله له ، وقضاء الله وقدره ، فهذه هي الحياة الطيبة كما سبق وأشرنا فهذا سعيد الدنيا والآخرة .

نجد ذلك في قصة قارون مع قوم موسى ، قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾ (١) .

فقد كان ظاهر الأمر للذين لا يعلمون علوم الدين أنه محظوظ ، أما الذين

---

(١) سورة القصص الآيات « ٧٩ - ٨٢ » .

أتوا العلم فعرفوا أنه مسكين لأن ثواب الآخرة خير ، فمن كان همه الدنيا يكون في شقاء دائم لا ينتهي ، فإن أعطاه الله طمع في المزيد ، وإن فاته شيء تحسر عليه .

وقال بعض الصالحين نحن في سعادة ولو يعلمها الملوك لقاتلونا عليها .

الاغترار بعفو الله ورحمته والفهم الخاطئ للقرآن والسُّنة :

قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) ﴾ [٢] .

وقال ﷺ : « **إن أقواماً خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : إنا نُحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل** » .

فكثير من الناس يعتمد على عفو الله ورحمته ويرتكبوا الكبائر ويقولون : إن الله غفور رحيم ، وهذا غرور بالله ، والبعض الآخر يقول : إن الإيمان بالقلب وهذا أيضاً غرور .

قال ﷺ : « **الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل** » .

والبعض الآخر يقول : إنما الأعمال بالنيات ، اعتماداً على حديث الرسول ﷺ وهذا أيضاً اعتقاد فاسد ، فالنية لابد أن يتبعها عمل بصدقها ، فالذي ينوي

---

(١) سورة المائدة الآية « ٩٨ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ١٦٩ » .

الصلاة لابد أن يقوم بأدائها والذى يريد رضى الله لابد أن يطيعه ، ومن أراد دخول الجنة فلابد من العمل لها .

قال ﷺ : « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : ومن يأبى يارسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** » (١) .

وقال تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** (٥٢) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) ﴾ (٢) .

والبعض الآخر يؤجل التوبة إلى آخر العمر ، وهذا أيضاً من الغرور لأنه لا يعلم متى تأتيه منيته وسبب هذه الاعتقادات الفاسدة لعدم اليقين بأن هناك رب يحاسب وشاهد على عمل الإنسان ما أسرّ به وما جهر ، فلو كان على يقين من ذلك ما استهان بأوامر الله ونواهيه ، إلا أن إبليس يهون فى أعينهم المعاصى ويعدهم ويمنيهم بهذه الاعتقادات الفاسدة ويعفو الله افتراء على الله وغروراً .

قال تعالى : ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** (٣٣) ﴾ (٤) .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى « ٧٢٨٠ » وأحمد « ٣٦١/٢ » وهو فى صحيح الجامع « ٤٥١٣ » .

(٢) سورة النور الآية « ٥٢ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ٣١ » .

(٤) سورة لقمان الآية « ٣٣ » .

وهذا أيضاً من الجنون ، فلو افترضنا أن طالب علم دخل الامتحان بدون مذاكرة واعتقد أنه سينجح ستقول : أنه مجنون ، كيف ينجح بدون مذاكرة ، ولو أنك قلت لرجل : أن هناك طريق إذا مشى فيه سيهلك ، فمشى فيه فإما أنه غير مصدق ، أو أنه مجنون ولا ثالث لهما ، فهذا حال الفاسق الذى يدعى الإيمان بالله وعمله يؤكد عكس ذلك ، لذا وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يعقلون وأنهم كالأنعام بل هم أضل .

قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) ﴾ [١] .

وقال تعالى عنهم أنهم أضل من الأنعام ، لأن الأنعام تسبح ربها بالفطرة إلا أنهم لا يعقلون كالإنسان ، قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [٢] ، وأما الذى يقرأ القرآن أو حتى يحفظه ولا يعمل به يكون كاليهود ، فقد شبههم ربنا عز وجل بالحمار الذى يحمل أسفاراً لا يدرى ما فيها .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ [٣] ، قال ﷺ : « **رب قارئ للقرآن وهو يلعنه** » .

فيقرأ ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) ﴾ [٤] ، مثلاً وهو ظالم .

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٤٣ ، ٤٤ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٤٤ » .
(٣) سورة الجمعة الآية « ٥ » .
(٤) سورة هود الآية « ١٨ » .

التعلق بالكبراء والآباء وأقوال العلماء

من طبيعة البشر أن يقلد الصغير الكبير سواء كان فى السن أو المركز أو الغنى لأنهم يعتقدون فى صلاحهم ، أو أن الله أعطاهم ذلك حباً فيهم أو لكى يصلوا إلى ما وصلوا إليه ، وهذا فهم خاطئ كما سبق أن أوضحنا لأن نعيم الدنيا لا يدل على رضاء الله عن الإنسان ، فإذا كان الذى يقلده فاسق فسق مثله ، ثم يوم القيامة لا يدفع عنه العذاب ويندم أشد الندم يوم لا ينفعه الندم .

قال تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)** ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)** ﴾ [٢] .

أما عن تقليد الآباء ، تجد كثيراً من الناس يقلدون آباءهم دون رد فعلهم إلى الدين ، حتى ولو كانوا على ضلال ، فإذا أمرتهم بالمعروف كانت حجتهم أن آباءهم لا يوافقون على هذا ، فتجد مثلاً السيدة المتبرجة إذا أمرتها بالحجاب، قالت

---

(١) سورة سبأ الآيات « ٣٢ ، ٣٣ » .
(٢) سورة الأحزاب الآيات « ٦٦ - ٦٨ » .

: إن أباها لا يوافق ، أو أن زوجها لا يعجبه الحجاب ، أى أنهم لا ذنب لهم ، إنما السبب هو آباءهم ، وقد قال ﷺ : « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » [١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)** ﴾ [٢] ، أى حتى لو كان عمل هؤلاء الآباء مخالف لأوامر الله والشيطان هو الذى أمرهم به ليدخلهم فى جهنم معه .

والبعض الآخر يحتج برأى الشيخ الفلانى ، لأن رأيه يوافق هواه حتى ولو كان مخالفاً لأوامر الله ، فكم من العلماء ضلوا وأضلوا – هداهم الله وهدانا أجمعين – ، أما المؤمن الذى يريد طاعة الله – عز وجل – فيذهب إلى العالم الذى يخاف الله عز وجل والرجوع إلى كتاب الله وكتب التفاسير التى تركها لنا السلف الصالح ، فيجتهد بقدر استطاعته فى معرفة الحكم الصحيح ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، أما الشيخ لن ينفعه يوم الحساب ولن يحميه من عذاب الله ، وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [٣] .

التعلق بالسحر والحسد :

قال تعالى : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)** ﴾ [٤] ، هذه الآية يقرأها كثير من الناس ، ولكن يمرون عليها

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البغوى فى شرح « ٤٤/١٠ » برقم « ٢٤٥٥ » .
(٢) سورة لقمان الآيات « ٢٠ ، ٢١ » .
(٣) سورة الإسراء الآية « ١٥ » .
(٤) سورة التوبة الآية « ٥١ » .

دون تدبر لمعناها ، فهى من الأسس التى بنيت عليها عقيدة المؤمن ، وهى الإيمان بالقضاء والقدر وليس لنا إلا التسليم والتوكل على الله .

الرضا بما قسمه الله لنا ، ثم الاستغفار والتوبة والدعاء ، إلا أن كثيراً من الناس يخشى الحسد، ويرجع كل ما يحدث له من شر إلى الحسد أو السحر هرباً من محاسبة النفس ، لأنهم يعتقدون أنهم لا يذنبون ، بل ويمنون على الله بما عملوا من الصالحات .

إن السحر والحسد حقيقتان ذُكرا فى القرآن الكريم ونلمسها فى حياتنا ، إلا أن الخوف منهما ، وتعليق كل ما يحدث للإنسان من مصائب وشرو نتيجة للحسد أو السحر يصرف الإنسان عن التوبة والاستغفار ، كما أنه من الممكن أن يصل به إلى الكفر والشرك بالله كما سنوضح .

قال ﷺ : « **لو كان شيئاً سابق القدر لسبقت العين القدر** » ، إذن معنى الحديث أن القدر سابق العين ، وأنه إذا قضى الله الأمر كانت العين أو السحر سبباً لقضاء هذا الأمر ، والقضاء مقدر بعمل الإنسان كما سبق أن أوضحنا ، ولا يظلم ربك أحداً ، فعلاقة السحر والحسد بالقدر هى أنه إذا وافق القدر أصاب الإنسان ، وإن لم يوافقه لم يصبه .

لذا قال تعالى عن السحر فى سورة البقرة : ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)** ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)** ﴾ [٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة القلم الآية « ٥١ » .

قال ابن عباس– رضى الله عنهما – فى تفسير الآية : أى يعينوك بمعنى يحسدونك لولا وقاية الله وهى للمؤمن كفارة لذنوبه ورفع لدرجاته .

وجاء أيضاً فى تفسيرها أن النبى ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن والإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك ، وقال النبى ﷺ : « **واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » (١) .

وقال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٢) .

والحسد والطيرة والظن من الأمور التى تعرض لكل إنسان ، قال ﷺ : « ثلاث لازمات لأمتى الحسد والطيرة والظن ، فإذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا تطيرت فامض ، وإذا ظننت فلا تحقق » وقال أيضاً : « كل ذى نعمة محسود » ، وما من أحد إلا وقد منّ الله عليه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، إلا أن البعض حرم بعضها ، فى حين يتمتع بها الآخرين ، إذاً كلنا إما حاسد أو محسود ، والحسد مذموم ونهانا عنه ﷺ وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، كما قال ﷺ لذا قال فى الحديث السابق فإذا حسدت فاستغفر الله .

وأما الطيرة أو التطير ، فهو التشاؤم ، سواء كان من شخص أو من يوم أو مكان ... إلخ ، كل ذلك شرك . قال ﷺ : « **الطيرة شرك** » (٣) .

وقال : « **من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك** » (٤) .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة يونس الآية « ١٠٧ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه أبو داود « ٣٩١٠ » والترمذى « ١٦١٨ » وابن حبان « ١٤٢٧ » .
(٤) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٢٢٠/٢ » .

قال ابن مسعود : وما منا إلا تطير ، ولكن يذهبه التوكل ، وكفارته أن يقول الإنسان : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضر إلا ضرك ولا إله غيرك .

أما أنه شرك ، فلأن الذى يتطير من شيء يعتقد أن هذا الشيء هو الفاعل بذاته للشر أو الضرر ، والحقيقة أن الضار والنافع هو الله وحده لذا وجب التوكل عليه لذا أمرنا ﷺ فى الحديث : « **وإذا تطيرت فامض** » .

قال تعالى : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)** ﴾ [(١)] ، يعنى ما أصابك من الحسنات والسيئات من عند الله ، أى بقدر الله وأما سببها ، وهو ما اقترفته من آثام ، وأما الحسنات فمن الله بفضله وكرمه وجوده كما سبق أن أوضحنا ، فالشؤم لا يكون إلا من الذنوب والمعاصى وأهلها .

قال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣)** ﴾ [(٢)] .

وعلاج السحر والحسد لا يكون إلا بالقرآن والرقى المأثورة عن النبى ﷺ كالمعوذتين ، قال ﷺ عنهما أنهما من أعظم سور القرآن الكريم ، قال : « **ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ معيذ بمثلهما** » [(٣)] .

---

(١) سورة النساء الآيات « ٧٨ ، ٧٩ » .
(٢) سورة هود الآية « ١١٣ » .
(٣) صحيح : أخرجه أبو داود «١٤٦٣» والنسائى «٥٤٥٣» والدارمى «٣٤٤٠» ولفظه : « يا عقبه تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

بالإضافة إلى الدعاء والاستغفار والتقرب إلى الله بالنوافل وفعل الخيرات والتصدق والصبر أولاً وأخيراً فهو خير دواء وهو كفارة لذنوبه ورفع لدرجاته ، قال ﷺ : « **ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا حزن ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من سيئاته** » [١] .

وأما الفاسق والكافر فلا يعتقد في القرآن ويعتقد أن العين بذاتها هي السبب وأن السحر لابد أن يصيبه فيلجأ إلى ما يزيده كفراً وفسوقاً كتعليق التمائم وما شابهها والذهاب إلى السحرة والمنجمين وتصديقها ، بل إن بعض المسلمين يذهبون إلى الكنائس يلتمسون عندهم الشفاء ، وقد قال ﷺ : « **من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما جاء به محمد** » [٢] ، وقال ﷺ : « **من علق تميمة فلا أتمَّ الله له ومن علق ودعه فلا أودع الله له** » [٣] ، أي أنه ﷺ دعا على كل من اعتقد بأن التمائم تأتي بخير أو تمنع شراً .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [٤] ، ويستمع إلى كل من يصف له وصفة لمنع الحسد أو السحر ودون الرجوع إلى الكتاب والسُّنة ويعتقد أنها ترد قدر كما صور له من نصحه بها ،وقد قال تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦)** ﴾ [٥] .

ويلجأ الفاسق إلى مثل هذه الأشياء لأنه إذا جرَّب اللجوء إلى الله

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٦٤١ » ومسلم « ٢٥٧٣ » .
(٢) صحيح : أخرجه أبو داود « ٣٩٠٤ » والترمذى « ١٣٥ » بلفظ : « من أتى كاهناً ... » .
(٣) ضعيف : أخرجه أحمد « ١٥٤/٤ » وابن حبان « ١٤١٣ » والحاكم « ٢١٦/٤ » ، ولكن بلفظ « **من علق تميمة فقد أشرك** » فهو صحيح ، أخرجه أحمد « ١٥٦/٤ » والحاكم «٢١٩/٤» .
(٤) سورة يوسف الآية « ١٠٦ » .
(٥) سورة الأنعام الآية « ١١٦ » .

والاستشفاء بالقرآن لا يجده ، لأن القرآن جعله الله شفاء للمؤمنين فقط وهو على الفاسق والكافر عمىً وخساراً .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا (٨٢) ﴾ [٢] .

فليحذر المؤمنين من نصائح هؤلاء أو تقليدهم فيما يفعلون دون الرجوع إلى القرآن والسُّنة ويكون توكله على الله ولا يخشى إلا الله وذنوبه ، ومن أكبر الذنوب التي يفعلها الإنسان دون أن يدري وتكون سبباً مباشراً للحسد : التفاخر والفرح والخيلاء والكبر واليأس والقنوط من رحمة والشكوى لغير الله وكلها صفات يبغضها الله عز وجل ، ويبغض من هذه صفاته فيسلط عليه الحاسدين ، فالنعمة من الله وليس له فيها فضل حتى يفرح بها ويختال ويتكبر على عباد الله الذين لا يملكون مثلها .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) ﴾ [٣] .

---

(١) سورة فصلت الآية « ٤٤ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٨٢ » .
(٣) سورة الزمر الآيات « ٤٩ - ٥١ » .

فالنعمة من الله عز وجل ومع ذلك يعتقد الإنسان أنه يستحق هذا الفضل فيقول : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ فيصبه سيئات ما كسبت يداه التى كان قد تجاوز الله بفضله عنها فتصيبه عين الحاسد غضباً من الله عليه لما اعتقد هذا الاعتقاد.

ونجد مثلاً آخر فى سورة القصص وقد قالها أيضاً قارون الذى كان من قوم موسى عليه السلام فخسف الله به الأرض ، يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه إلى عمل الخير ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [١] ، أى أنا لست بحاجة إلى نصحكم لأن الله أعطانى هذا المال لعلمه بأنى استحقه ولمحبته لي وأنى أهل له فلما قالها أصابه حسد الناس .

قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) ﴾ [٢] .

فغرور الإنسان بعمله الصالح من أشد الأفات التى تجره إلى الفرح والغرور والكبر ، وهى صفات يبغضها الله عز وجل ، قال ﷺ عن رب العزة : « **الكبر ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالى** » .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾ [٣] .

أما إذا علم أنه ليس له فضل فيما يملك ، ولكن الفضل كله لله إزداد شكراً وتواضعاً لله وللناس فيحبه الله ويزيده ، ويحبه الناس ولا يحسدوه فهذا هو شكر الله على نعمه .

---

(١) سورة القصص الآية « ٧٨ » .
(٢) سورة القصص الآية « ٧٩ » .
(٤) سورة النساء الآية « ٣٦ » .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [١] ، فالتواضع شكر ، والكبر والخيلاء كفر بنعم الله ولأنه يعتقد أنه صاحب فضل .

والقنوط من رحمة الله أيضاً كفر ، قال تعالى في سورة يوسف على لسان يعقوب عليه السلام ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣] .

فاليأس والقنوط يجعل الإنسان يتلفظ بما يخرجه من الإيمان إلى الكفر كسب الدهر وهو لا يعلم أنه يسب ربه ، قال ﷺ عن رب العزة : « **يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار** » [٤] .

واليأس يجعل الإنسان يشتكي همه إلى الناس وهو لا يعلم أنه يشتكي ربه ، فإذا فعل ذلك سلّط عليه الحاسدين الذين هم أكثر منه همّاً وابتلاءً غضباً من الله عليه .

وأما المؤمن الحق فهو على خير حال ، إن أصابه نعمة شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له كما قال ﷺ ، فلا يحسده الناس حماية من الله له ورضى عنه .

---

(١) سورة إبراهيم الآية « ٧ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ٨٧ » .
(٣) سورة الروم الآية « ٣٦ » .
(٤) سبق تخريجه .

فالمؤمن يعلم أن كل ما يحدث له مقدر عليه فلا يفرح بما آتاه الله ولا يحزن على شيء فاته ، قال تعالى : ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)** ﴾ [1] .

أما علاقة البخل بالفرح والخيلاء ، فالبخيل يكتنز المال حتى يصبح غنياً ليختال ويفخر به على الآخرين ، كما أن البخيل لا يثق فى كرم الله وأن ما ينفقه يخلفه الله عليه ويضاعفه ، وهناك صنف آخر من الناس يكتم ما آتاه الله بخلاً منه حتى لا يعطى أصحاب الحقوق حقهم ، أو خوفاً من الحسد وهذا كفر أو جحود بنعم الله عليه ، بل ويأمر الناس كذلك بالبخل وهذا لإعجابه وحبه للبخل ، وقد قال ﷺ : « **ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه** » [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧)** ﴾ [3] .

---

(١) سورة الحديد الآيات « ٢٣ ، ٢٤ » .
(٢) ضعيف جداً : فيه الفضل بن بكر العبدى ، وأيوب بن عتبة ، أخرجه العقيلى فى الضعفاء «٤٤٧/٣» والبيهقى فى الشعب « ٤٧٥ » والبزار « ٨١ » .
(٣) سورة النساء الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .

فعندما يعلم أصحاب الحقوق ما عنده من مال فلابد أن يفضحه الله ، فيحسدوه بأمر الله لأنه منعهم حقوقهم التى فرضها الله عليه لهم ، وغالباً ما يكون الذى يخاف من الحسد إنسان أكثر مالاً أو ولداً أو جاه من أقاربه ، فإذا أظهر ذلك لهم فكأنما يقول لمن هو أقل منه شأناً أنا خير منك وأكثر مالاً وولداً كما حدث مع صاحب الجنتين فى سورة الكهف ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] ، فردّ عليه صاحبه ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

فالفرح والكبر الذى يتبعه الخوف من الحسد شرك بالله عز وجل لأنه اعتقد أنه صاحب فضل كما سبق أن أوضحنا ، أما إن قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله معتقداً أن الفضل كله لله إن شاء زاد وأبقى ، وإن شاء منع فلا يخاف الحسد وبالتالى لا يصيبه ضرر حاسد ، لذا أمرنا ﷺ إن أعجبنا شيئاً أن نقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، حتى لا يحسد المرء نفسه كما حدث مع صاحب الجنتين ، أما إن قالها بلسانه فقط معتقداً أنه صاحب فضل وأنه أهل لما أعطاه الله أصبحت بدون مضمون وبالتالى لا أثر لها فيحسد نفسه ويحسده الناس ، فالمال والولد والجاه فتنة وابتلاء من الله عز وجل للعبد ليرى هل سيشكر أم

---

(١) سورة الكهف الآية « ٣٤ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ٣٨ - ٤٠ » .

يكفر ؟ ، فإن شكر زاده ، وإن كفر وتكبر على عباد الله سلبه النعم وأعطاها لمن لا يتكبر ، وكم من حالات رأيتها في حياتي من هذا القبيل .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] .

فكم من غنى قطع رحمه لأنهم فقراء وتبرأ منهم ، يخشى حسدهم ، وإذا افتقرهو طالب بصلة الرحم .

ولنا في حكاية سيدنا يعقوب مع بنيه درساً في التوكل على الله إذا خاف الإنسان الحسد ، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .

قال ابن كثير في تفسير الآية : خاف عليهم الحسد فطلب منهم الدخول من أبواب متفرقة إلا أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه وهو يعلم

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٣٥ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٦٥ » .
(٣) سورة يوسف الآيات « ٦٧ ، ٦٨ » .

ذلك عن يقين لذا قال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، أى لا يعلمون هذه الحقيقة وهى أنه لا شيء يمنع قدر الله وقضائه ، لذا وجب التوكل عليه والتسليم لأمره .

فالتوكل على الله يجعل الإنسان فى حفظ الله ورعايته ويدخل حصنه الحصين فلا يقدر أنس ولا جن على ضره إلا بإذن الله ، فالعين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم كما قال ﷺ ، والشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، كما قال رب العزة فى سورة النحل : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) ﴾ (٣) ، وقليل من الناس من يصل به اليقين إلى درجة التوكل على الله .

لذا قال ﷺ : « **سبعون ألف من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب ،** قالوا : من هم يا رسول الله ؟ **قال ﷺ : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** » (٤) .

فالمتوكل على الله بدلاً من ينصرف ذهنه إلى الخوف من الحاسد ، وعلاج الحسد بالموصفات التى يسمعها من الناس سواء كان ما يفعله يُرضى الله أم يدخله فى دائرة الشرك وغضب الله عز وجل ، يهديه الله عز وجل إلى علاج ما به ، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً وإن كانت مشكلة عائلية فكر فى حل لها فإن لم يجد ، فالصبر خير دواء به يكفر الله من سيئاته ويرفع درجاته ، قال

---

(١) سورة يوسف الآية « ٦٧ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ٦٨ » .
(٣) سورة النحل الآية « ٩٩ » .
(٤) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٤٧٢ » .

تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [١] ، ليس ذلك فقط وإنما يرد الله حسد الحاسد على نفسه ويرفعه الله عن المحسود بتوكله ، كما أن التوكل على الله يحفظ الإنسان من الوقوع فى ذنب عظيم عندما يذكر أخاه المسلم بما يكره ، وهو وصفه بأنه حسود فهذه هي الغيبة التي نهاها ربنا عز وجل عنها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢] .

وعرفها لنا ﷺ وقال : « **أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : لا ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : وإن كان ما فيه يارسول الله ، قال : إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته** » [٣] .

وقال ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه** » [٤] ، **فإذا كنت تكره أن يصفك أحد بهذه الصفة فلا تصف أخيك بها ، ولكن اعرفها فى نفسك وعامله بما يرضى الله متوكلاً عليه ، فالتوكل على الله يرفع** الحسد والبغضاء من قلوب المسلمين ، فيسود بينهم الحب والمودة ، فالفقير يحب الغنى لمودته إياه ، والغنى يعطف على الفقير بدلاً من أن يخاف حسده ويصل رحمه ويحسن إلى جاره ، قال ﷺ : « **خير الصدقة لذى الرحم الكاشح** - الذى يضمر لك العداء - » [٥] ، وتأليف القلوب وحب الناس

---

(١) سورة الزمر الآية « ١٠ » .
(٢) سورة الحجرات الآية « ١٢ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم « ٢٥٨٩ » وأبو داود «٤٨٧٤» وأحمد « ٢/٢٣٠ » .
(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ١٣ » ومسلم « ٤٤ » .
(٥) حديث ضعيف : أخرجه البخارى « ٦٥٨ » والنسائى « ٩٢/٥ » وابن ماجه « ١٨٤٤ » .

بعضهم لبعض لا يتأتى إلا بفضل الله ورحمته على من يطيعون أمره ويتبعون منهجه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

فبيّن الله عز وجل السبيل إلى تأليف القلوب فى هذه الآية هو الاعتصام بحبل الله وهو كتابه ومنهجه الذى يصلنا بالله عز وجل ثم يبين فى الآية التى تليها الطريق والسبيل إلى الاعتصام بحبل الله يكون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو يرد كل خارج عن الدين إليه رداً جميلاً ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣) ، وحذرنا ربنا عز وجل من أن نفعل مثل ما فعل النصارى واليهود عندما نسوا ما ذُكّروا به من آياته وأوامره ، فيحل علينا غضبه ويضع البغضاء فى قلوبنا ، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .أو يلعنا كما

(١) سورة الأنفال الآية « ٦٣ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٠٣ » .
(٣) سورة آل عمران الآيات « ١٠٤ ، ١٠٥ » .
(٤) سورة المائدة الآية « ١٤ » .

لعن بنى إسرائيل بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [١] .

وبيّن الرسول ﷺ كيفية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تركه يؤدى إلى البغضاء بين الناس .

قال ﷺ : « **لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم فى مجالسهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وكان متكأ فجلس وقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا – أى تعيدوهم إلى الحق –** » [٢] .

أى لابد من ترك مجالسة أهل الفسق والمعاصى ، وإلا نكون قد وافقناهم على معاصيهم فتتنزل اللعنة على الجميع .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ [٣] .

وحذرنا ربنا عز وجل من موالاة الكافرين وطاعتهم لئلا يخرجونا عن ديننا ويردونا كافرين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾ [٤] .

---

(١) سورة المائدة الآيات « ٧٨ ، ٧٩ » .
(٢) صحيح : أخرجه أحمد « ٣٩١/١ » وأبو داود « ٤٣٣٧ » والترمذى « ٣٠٤٧ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٤٠ » .
(٤) سورة آل عمران الآية « ١٠٠ » .

وهذا هو هدف أعداء الإسلام فى كل زمان ، حتى يسهل لهم النصر عليهم والسيطرة على ثرواتهم ، وحقداً منهم على الإسلام وأتباعه - فليحذر المسلمون ذلك - .

وهكذا نجد الإنسان يظلم ويكذب ويغتاب ويحرم كل ذى حق حقه ويبخل ويفرح ويختال ويتكبر على خلق الله ، وبمعنى جامع يعصى الله بل ويشرك به ثم بعد ذلك يعلق كل ما يحدث له من سيئات إلى الحسد أو السحر أو الحظ .

أى منطق يقبل هذا إلا منطق الكافر الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وأن هناك رب شاهد عليه يحاسب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإن كان مثقال ذرة لا تغيب عن علام الغيوب ولكنهم نسوا الله فنسيهم بالهداية وادّعوا كذباً أنهم مؤمنون ، وإن كان هذا منطق الكفرة والمشركين فإن المسلمين ليس لهم عذر وبين أيديهم كتاب كريم .

فالحسد والسحر والمرض وكل ما يصيب الإنسان من سيئات هى ظاهر الحياة الدنيا التى يعلمها كل الناس ، أما ما وراء ذلك من حقائق فلا يعلمها إلا العالمون العاملون بكتاب الله وسُنة نبيه ﷺ .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[١] .

أكثر الناس لا يعلمون سُنن الله فى كونه وفى خلقه لقلة علمهم بأمور دينهم ، فهم يأخذون وما يعجبهم ويتركون ما لا يعجبهم ، والدين كل لا يتجزأ ، فالعين والسحر حق ، وظاهر الأمر أنها تصيب الإنسان أحياناً ، أما

(١) سورة الروم الآيات ٦ ، ٧ .

حقيقة الأمر التى لا يعلمها كثير من الناس أنها لا تصيبه إلا بأمر الله وقدره وبسبب ذنوبه فلنشغل أنفسنا بتهذيب أنفسنا الأمارة بالسوء ومحاسبتها بدلاً من محاسبة الآخرين ، والنيل منهم فلهم رب يحاسبهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ ﴾[1] .

وما أُبرى نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ، أعاننا الله جميعاً على مجاهدة النفس ، فقد سماه ﷺ الجهاد الأكبر ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ ﴾[2] .

---

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ - ١٠ » .
(٢) سورة الروم الآية « ٤١ » .

الحب في الله والبغض في الله

أما مصادقة الفساق والفجار فهو باب من أبواب الهلاك ، أو حتى مجالستهم ، فكل ذلك يساعد على تقليدهم حتى ولو أنكرت ما يفعلوه أول مرة ثم بعد ذلك تهون المعاصي في عينيك ، ثم بعد ذلك تقلدهم دون أن تشعر وتصبح مثلهم ، لأن هناك ما يسمى بمسارقة الطبع ، فترى الصديق يتصرف مثل صديقه في الكلام والأفعال لذا قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » [(١)] .

والصحيح أن تأمره وتنهاه عن فعله المنكر حتى يعود إلى الحق ، وينتهي عن الفواحش وإلا كان الإبتعاد عنه أسلم وإلا نزلت اللعنة عليك كما تنزل عليهم.

قال ﷺ : « **لما وقت بنو إسرائيل في المعصية نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم في مجالسهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وكان متكئاً فجلس وقال : لا والذى نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا** » [(٢)] ، أي تعيدوهم إلى الحق .

فيوم القيامة يندم أشد الندم ، قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨)** ﴾ [(٣)] .

---

(١) حديث حسن : أخرجه أحمد « ٣٠٣/٢ » وأبو داود « ٤٨٣٣ » والترمذى «٢٣٧٨» والحاكم «١٧١/٤» .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة الفرقان الآيات « ٢٧ ، ٢٨ » .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ [١] .

وجاء فى تفسير هذه الآية أنه كشارب الخمر ، وأى منكر أنكره الشرع فالجلوس معهم يعنى الرضا بما يفعلون من منكرات أو أننا نريد رضاءهم فى سخط الله ولتقريب ذلك إلى الأذهان ،إليك هذا المثل ولله المثل الأعلى : هب أنك عرفت أن هناك طريق مَنْ مشى فيه هلك ، ووجدت حبيب لك يمشى فيه ، فإنك لن تتركه ، ولكن تنصحه بالابتعاد عنه ، فلو أصر ومشى فيه فليس أمامك إلا أن تتركه يهلك وحده وإلا هلكت معه .

وهذا هو مفهوم الحب فى الله والبغض فى الله ، فلو أحب الإنسان ربه عز وجل كره كل ما يغضبه وكل من يغضبه .

ولكى تتجنب هؤلاء الأشرار من المنافقين والفاسقين لابد من التعرف على صفاتهم كما جاء فى القرآن والسُّنة .و

أما الفاسق فهو كل من خرج عن أوامر الله ونواهيه بإصرار واستكبار كما فعل إبليس لعنه الله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٠ » .

(٢) سورة الكهف الآية « ٥٠ » .

أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] ، فمعنى حاد الله ورسوله أى : عاداه وباغضه بالمعاصى .

صفات المنافقين كما جاء فى الكتاب والسُّنة :

١ - فمن صفات المنافق حب الكافرين وموالاتهم وحب الفاسقين ومجالستهم ، وقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [(٢)] .

٢ - فقلب المنافق أُشرب حب الدنيا ، أما الآخرة فلا يعمل لها إنما هى مجرد أمانى وأما العبادة يفعلها يراءى بها قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ ﴾ [(٣)] .

٣ - ومن صفاته أيضاً أنه لا يثبت على الحق فيكون مؤمناً ولا يجهر بكفره فيكون مع الكافرين إنما هو مع الغالب ، قال تعالى : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ ﴾ [(٤)] ، وقال ﷺ : « **مثل المنافق كمثل شاه ترى قطيعين من الغنم ، تارة تسير إلى هذا وتارة تسير إلى هذا القطيع**

---

(١) سورة المجادلة الآية « ٢٢ » .
(٢) سورة النساء الآيات « ١٣٨ ، ١٣٩ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٤٢ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٤٣ » .

ولا تسكن لواحدة منها [(١)] ، لأنها غريبة ليست منها .

٤ – وهم يضحكون على أنفسهم ويخدعونها ويظنون أنهم يخدعون الله والمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⑨ ﴾ [(٢)] .

٥ – يعوثون فى الأرض فساداً بنشر الرذائل عن طريق التمثيليات والأفلام السينمائية وما إلى ذلك من الغناء الفاحش والرقص الفاضح حتى فى شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن ، وإذا قيل لهم هذا إفساد لأخلاق الناس قالوا : هذه ثقافة وفن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ⑫ ﴾ [(٣)] ، وإذا قلت لهم هذا حرام واتقوا الله قالوا : هذا تخلف وتشدد فى الدين ، إنما الدين يسر وساعة لربك وساعة لقلبك ، ثم يكون كل الوقت للهو والعبث والمجون ولا يكون لله شيء .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ⑭ ﴾ [(٤)] ، وإذا قيل لهم هذا فسق وخروج على الدين ثاروا وغضبوا لأنك تضعهم أمام حقيقة أنفسهم ، وهم لا يريدون ذلك ، فالشيطان يزين لهم أعمالهم حتى يستمروا فى غيهم ، وهذا هو معنى العزة بالإثم ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٧٨٤ » ولفظه : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٩ » .
(٣) سورة البقرة الآيات « ١١ ، ١٢ » .
(٤) سورة البقرة الآية « ١٤ » .

الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ (١) .

٦ – وكذلك يسخرون من المؤمنين ويستهزؤن بهم ويرمونهم بالجهل والتخلف ويفرحون بما آتاهم الله من نعم الدنيا ظناً منهم أنه حباً من الله لهم ، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾ (٢) .

٧ – ويأخذون من الدين ما يعجبهم ويتركون التكاليف فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كما فعل اليهود ، فإذا كان لهم حق فى ميراث مثلاً ذهبوا إلى كتاب الله ويأخذوا بحكمة ؛ أما التكاليف فلا ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) ﴾ (٤) .

٨ – ومن صفات المنافقين أيضاً أنه يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، فنرى البنت تريد طاعة الله بارتداء الحجاب فينهاها والدها أو زوجها عن طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ

---

(١) سورة البقرة الآيات « ٢٠٤ ، ٢٠٦ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢١٢ » .
(٣) سورة النساء الآية « ٦١ » .
(٤) سورة النور الآيات « ٤٨ ، ٤٩ » .

الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [١] ، وذلك لأنهم نسوا الله بالطاعة فنسيهم بعدم الهداية فهم على ضلال ويريدون لأبناءهم أن يكونوا مثلهم .

٩ – ومن صفات المنافق أنه يهاب الموت ، لأنه لم يستعد له بالأعمال الصالحة وآثر الفانية على الباقية ، لذا قال الله عز وجل فيهم ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢] .

١٠ – ويستهزءون بأحكام الشرع ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٣] ، والمنافق لا يرضى بحكم الله ورسوله ولكن يعجبه قانون الطاغوت والكفرة ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [٤] .

١١ – والمنافق يفرح لهزيمة المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾ [٥] ، لهذه الصفات

---

(١) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .
(٢) سورة التوبة الآيات « ٤٤ ، ٤٥ » .
(٣) سورة التوبة الآية « ٦٥ » .
(٤) سورة النساء الآية « ٦٠ » .
(٥) سورة النساء الآية « ١٤١ » .

جميعاً كان عذاب المنافق شديد ، وهو أشد عذاباً من الكافر لأن الكافر يظهر ما في قلبه من بغض المؤمنين فخطره أقل على الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾ [1] .

صفات المتقين :

صفة المتقين وضحها لنا ربنا عز وجل فى كتابه العزيز ، فليعرض أحدنا نفسه على هذه الصفات بأمانه ، فإن كانت فيه فليتزود منها ، وإن لم تكن فيه اجتهد حتى يكون منهم ، فهم يحبون الله ورسوله ويطيعونهم ويحبون المؤمنين والقرآن الكريم ويخشعون لذكر الله ويتوكلون على الله .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [2] ، وإقامة الصلاة تعنى أداءها فى أول وقتها وتمام الركوع والسجود والخشوع فيها ، وهم عن اللغو معرضين ولفروجهم حافظون ولآماناتهم وعهده راعون .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٥ » .
(٢) سورة الأنفال الآيات « ١ - ٤ » .

(٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) ﴾ [٢] .

يصبرون فى المحن والشدائد امتثالاً لقضاء الله وقدره لعلمهم بحكمته ولحبهم له وترى ذلهم وخضوعهم لله عز وجل ، فإذا ذُكِّروا بآياته خروا سجداً .

قال تعالى : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون (١٥) ﴾ [٣] .

قال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (١٦) ﴾ [٤] .

يحبون الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ولا يفرون منه ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ [٥] وهم أيضاً أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يحبون الله ويحبهم الله ويحبون فى الله ويبغضون فى الله .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي

---

(١) سورة المؤمنون الآيات « ١ - ٩ » .
(٢) سورة الحج الآيات « ٣٤ ، ٣٥ » .
(٣) سورة السجدة الآية « ١٥ » .
(٤) سورة السجدة الآية « ١٦ » .
(٥) سورة البقرة الآية « ٢٠٧ » .

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [١] .

فالإيمان ليس بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل كما قال معلم البشرية ﷺ .

معنى التقوى :

هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضاء بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل ، وهكذا عرفها عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه .

أ - الخوف من الجليل :

وهى درجة المراقبة ، **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك** ، وتسارع إلى فعل الخيرات وترك المنكرات خوفاً من الله ، وإذا فعل الإنسان ذنباً سارع بالاستغفار والتوبة والندم والبكاء خوفاً من الله ويرجو رحمته بأن يقبل منه توبته وعمله الصالح ، قال ﷺ : « **عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعيناً باتت تحرس فى سبيل الله** » [٢] .

وقال ﷺ : « **لا يلج النار من بكى من خشية الله** » [٣] ، وقال ﷺ عن رب العزة : « **وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين، من خافنى فى الدنيا آمنته يوم القيامة ، ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة** » .

---

(١) سورة المائدة الآية « ٥٤ » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذى « ١٦٣٩ » .
(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٢/ ٣٤٢ » والنسائى « ٦/ ١٢ » وابن حبان « ١٥٩٩ » .

ب – العمل بالتنزيل :

لابد أن يتبع الخوف عمل ، ولكى يعمل الصالحات لابد من معرفة الحرام حتى يجتنبه ، والحلال حتى يأتيه ، لذا لابد من تعلم علوم الدين وحفظ القرآن أو حتى قراءته بتدبر ومحاولة فهم الآيات من كتب التفاسير وكتب السُّنة والفقة فإن لم يتيسر له سعى إلى تعلم علوم الدين بحضور الدروس .

قال ﷺ : « **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** »(١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)** ﴾(٢) .

فالعابد يعبد الله ويظل الليل قائماً والنهار صائماً ، ثم يتعامل مع الناس بما لا يرضى الله ، أما العالم إذا جاءه الشيطان تذكر ما عرفه من علم فيحجزه علمه عن ارتكاب المعاصى .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)** ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)** ﴾(٤) ، والفرقان هو البصيرة ، وهو نور وهدى يقذف فى قلب المؤمن يفرق به الحق والباطل .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى « ٣٦٤١ » ومسلم « ١٠٣٧ » .
(٢) سورة فاطر الآية « ٢٨ » .
(٣) سورة الأعراف الآية « ٢٠١ » .
(٤) سورة الأنفال الآية « ٢٩ » .

أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ (١) .

والعمل لابد أن يكون خالصاً لله بعيداً عن الرياء حتى يكون مقبولاً عند الله ، وبعد أن يعلم ويعمل لابد أن يعلم بقدر استطاعته ، فالعلم أمانة لابد من أداءها .

قـال ﷺ : « **نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها فربّ حامل فقه لا فقـه لـه ، وربّ حامل فقـه إلى مـن هـو أفقه منه** » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ (٣) فنشر العلم من أجلّ القربات إلى الله ، فبذلك يعرف الناس الحلال من الحرام فيعمل من يخاف الله به ويأخذ من عمله الأجر والثواب كما علمه ، قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم آثام اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » (٤) .

وبذلك ينصلح حال الأمة الإسلامة ، ولا سبيل إلى صلاحها إلا عن هذا الطريق وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ**

---

(١) سورة فصلت الآية « ٣٠ » .
(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الشافعى فى مسنده « ٢٦٥٨ » ، وأحمد « ١٨٣/٥ » وأبو داود « ٣٦٦٠ » والترمذى « ٢٦٥٦ » وابن ماجه « ٢٣٠ » .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٨٧ » .
(٤) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم « ٢٦٧٤ » .

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [١] .

جـ - الرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل :

فإذا عمل الإنسان بما علمه وداوم على الطاعة رفعه الله درجات وقربه إليه فيزهد فى الدنيا وما فيها من نعيم لعلمه أنها فانية ويعمل للآخرة لعلمه أنها الباقية وأن الباقى هو الله وحده ويتعظ بمن سبقوه إليها .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢] .

قال ﷺ : « يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » [٣] .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٤] .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : أخذ رسول الله بمنكبى فقال : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » [٥] .

فنحن جميعاً فى هذه الدنيا كأننا فى رحلة قصيرة ليس لنا فيها مقام ، إنما مقامنا الحقيقى فى الآخرة ، فلو سافر أحدنا إلى بلدة ما لمدة قصيرة يقضى بها حاجة له ثم بنى فيها بيتاً وتركه ولم يبن فى بلده التى يقيم فيها بيتاً مثله عاد إليها ليجد نفسه فى العراء وسوف يتهم بالغباء فهو يبنى ما لا يسكن .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١١٠ » .
(٢) سورة الرحمن الآية « ٢٦ » .
(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم « ٢٩٥٨ » .
(٤) سورة الشورى الآية « ٢٠ » .
(٥) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٤١٦ » .

قال ﷺ : « **اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** »[١] .

فلو لم يفعل ذلك ندم أشد الندم يوم القيامة لأنه يومها حساب بلا عمل ، أما الدنيا فهى عمل واختبار لا يرى نتيجته إلا بعد الموت ، فإذا كان فى امتحان الدراسة من الممكن تداركه بإعادة السنة أو الدراسة فى مكان آخر ، فإن امتحان الآخرة إذا رسب فيه ، فلا يمكن تداركه ، فكيف يامسكين يكون همك امتحان يمكن تداركه وتنسى ما لا يمكن تداركه ، لذا كان الكيس من عمل لما بعد الموت ، أما العاجز فهو من نسى هذا اليوم وكان شغله همّ الدنيا .

يوم القيامة يفرح المؤمن بكتابه عندما يأخذه بيمينه ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١)** ﴾[٢] ، أما الفاسق والكافر فيأخذ كتابه بشماله ويندم أشد الندم ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)** ﴾[٣] ، فيومئذ لا ينفعه ماله ولا جاهه ولا سلطانه ، حتى أهله الذين هم أقرب الناس إليه يفرون منه فكل مشغول بهمّه من الهلع والفزع ومن أهوال ذلك اليوم ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ**

---

(١) صحيح مرسلاً : أخرجه الشهاب القضاعي فى المسند « ٤٢٥/١ » رقم ٧٢٩ » وابن المبارك فى الزهد رقم « ٢ » وذكره السيوطى فى الجامع الصغير « ١٢١٠ » وذكره المزى فى تحفة الأشراف «١٩١٧٩ » وعزاه للنسائى ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ١٠٧٧ » .

(٢) سورة الحاقة الآيات « ١٩ - ٢١ » .

(٣) سورة الحاقة الآيات « ٢٥ - ٢٧ » .

أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) ﴾ [١] ، لذا حذرنا رب العزة من أن تلهنا أموالنا وأولادنا عن ذكر الله وطاعته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩) ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١) ﴾ [٣] ، فتجد المرأة مشغولة بأولادها عن الصلاة فى وقتها مع أنها لو حرصت على أداء الصلاة فى وقتها لبارك الله لها فى وقتها وأولادها وهداهم ، فمن سارع إلى الطاعة أعانه الله عليها ، ومن تكاسل عن ذكر الله قيض الله له شيطاناً فيمنعه عن الطاعة ويجد صعوبة فى آدائها .

قال تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥) بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧) ﴾ [٤] .

وأما الرجل فيحتج بكثرة العمل ، أو أن صاحب العمل يمنعه ، وهذه حجج واهية ، فالصلاة لا تأخذ من وقت الإنسان إلا اليسير ، إلا أن الشيطان يزين لأوليائه ، قال ﷺ : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر** » [٥] .

---

(١) سورة عبس الآيات « ٣٤ - ٣٧ » .
(٢) سورة المنافقون الآية « ٩ » .
(٣) سورة الجمعة الآية « ١١ » .
(٤) سورة الأعلى الآيات « ١٤ - ١٧ » .
(٥) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٣٣ » ولكن بلفظ « إذا اجتنبت الكبائر » .

أما عن صلاة الجمعة التى شرعها الله وأوجبها فرضاً على الرجال فكثير من المسلمين يستهين بها ، ويفضل اللهو والتجارة عليها وخاصة أنها يوم أجازة فيذهبوا إلى أماكن اللهو تاركين ما فرضه الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [(١)] .

وقال ﷺ : « **من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه** » [(٢)] .

وقد سبق أن بيّنا معنى « الطبع » على القلب ، وهذا التشديد فى العقاب لما لصلاة الجمعة من أهمية للمسلمين، فالخطبة درس أسبوعى يزداد بها المؤمن علماً بأمور دينه ، وبالتالى يزداد تقوى وقرباً من الله ثم يعود إلى أسرته يعلمهم ما تعلم من علم ويأمرهم وينهاهم بما تعلم ، فينصلح حال الأسرة التى هى اللبنة الأساسية للمجتمع وبها ينصلح حال المجتمع المسلم كله ، فالمؤمن يثق بربه وأنه هو الرزاق، وأن الصلاة والمحافظة عليها هى سبب الرزق وليس العكس .

قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة الجمعة الآية « ٩ » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد « ٤٢٤/٣ » والدارمى « ٣٦٩/١ » وأبو داود « ١٠٥٢ » والترمذى «٥٠٠» .

(٣) سورة طه الآية « ١٣٢ » .

(٤) سورة النور الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾ [(١)] .

إن ضعيف الإيمان والمنافق لا يثق فيما عند الله من رزق ويعتقد أن الجرى وراء المال سواء كان حلالاً أم حراماً أو كان على حساب العبادة هو الطريق للحصول على المال ويزين له الشيطان عمله هذا ، فيقول العمل عبادة فهو لا يقنع بما رزقه الله من الحلال ويخشى لو ذهب إلى الصلاة أن يفوته الرزق أو أن يطرده صاحب العمل .

وهذا الفكر المادى جاءنا من المجتمعات الغربية التى لم يعد للدين فيها مكان ، وأصبحت المادة هى الإله الذى يُعبد من دون الله ، فقلدناهم دون تدبر وفعلنا مثلهم وخرجت المرأة للعمل وكلفت نفسها ما لا تطيق بدعوى المساواة والحرية والسعي على الرزق الذى لم يكلفها الله به رحمة بها ، لأنه أعلم بمن خلقه ويكفيها ما تتحمله من أعباء الحمل والرضاعة والولادة وتربية الأولاد ، وكرمها فى القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ [(١)] ، وكذلك أغناها الله فهى ترث ولا تنفق على الأسرة لأنها غير مكلفة بذلك ، وعند الزواج يعطيها الزوج مهراً خالصاً لها ليس لوليها حقاً فيه ، أما الديانات الأخرى فالمرأة لا ترث ولا تملك وأبوها يدفع للزوج ما يسمى بـ « الدوطة » حتى اسمها تفقده بالزواج فتنسب إلى اسم زوجها ، فلما وجدوا ما للمرأة المسلمة من حقوق ثاروا وطالبوا بالمساواة وما إلى ذلك ، أما نحن المسلمين

---

(١) سورة الأعراف الآية « ٩٦ » .
(٢) سورة لقمان الآية « ١٤ » .

فليس لنا ما يبرر تقليدهم ، فلنا تشريعنا العادل الحكيم الذى أعطى كل ذى حق حقه ، وإن كان فى المجتمع رجال ظلموا المرأة ولم يعطوها حقها ، فليس هذا عيب التشريع ولها أن تعود إلى كتاب الله لتعرف ما لها من حقوق ، لا أن تجرى وراء الكفرة .

معنى الزهد

وليس معنى ما تقدم أن الزهد يعنى ترك الدنيا بالكلية والسعى على تحصيل الرزق الحلال والسعى إلى ما هو أفضل ، ولكن عباده وتقوى ثم سعى واجتهاد قدر استطاعته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وتوكل على الله ثم الرضى بما قسمه الله له ، فهو مقسم الأرزاق ومهما أوتى الإنسان من علم وسعى قدر طاقته فلن يتحصل إلا على ما كتبه الله له ، فلابد أن يكون بما عند الله أوثق مما عنده .

قال ﷺ : « **من أصبح والدنيا همه فرق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته منها إلا ما كتبه الله له ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه وآتته الدنيا وهى راغمة** » [(١)] .

جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « **ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** » [(٢)] .

فلو عرف ذلك زهد فى الدنيا وكانت فى يده لا فى قلبه حتى تكون ممر للآخرة .

قال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ**

---

(١) ضعيف : أخرجه الترمذى « ٢٤٦٥ » وأحمد « ١٨٣/٥ » وفى إسناده يزيد بن أبان القرشي ، أجمعوا على ضعفه .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجة « ٤١٠٢ » والطبرانى فى الكبير « ٥٩٧٢ » والحاكم « ٣١٣/٤ » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم « ٩٢٢ » .

مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ [٢] .

هذه هى حقيقة الدنيا وهى أيام معدودة ، وإن ظنها سنين طويلة .

قال تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾ [٣] .

حقيقة يغفل عنها الإنسان ، يجرى يلهث وراء ماهو إلى زوال وينسى ما يبقى وهو العمل الصالح الذى يزكيه عند ربه ويرفعه درجات ودرجات بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض فى الحياة الأبدية فهى إما جنة أبداً ونعيم مقيم ، وإما نار أبداً وعذاب مقيم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

---

(١) سورة الحديد الآية « ٢٠ » .
(٢) سورة العنكبوت الآية « ٦٤ » .
(٣) سورة المؤمنون الآيات « ١١٢ – ١١٥ » .
(٤) سورة فاطر الآيات « ٣٦ ، ٣٧ » .

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾ [1] .

وصدق الله العظيم وحاشا لله أن يكون ظالماً ، فقد أرسل إلينا الرسل وبيّن لنا فى الكتاب لكى لا يكون للظالمين حجة على الله ، إلا أن الإنسان كفور ظالم لنفسه يجرى وراء الأهواء تابعاً لعدو له يراه من حيث لا يراه هو ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾ [2] .

هكذا يصور الشيطان لأولياءه الحق باطلاً ، والباطل حقاً كما سبق أن أوضحنا بالتعلق بالآباء والكبراء ، بل يبا عى أن الله أمرهم بها والله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر .

وفى المقابل نجد أهل الجنة فى سعادة ونعيم مقيم لا يخطر على قلب بشر وما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

قال ﷺ عن رب العزة قال : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرأوا إن شئتم ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [3] .

(١) سورة الزخرف الآيات « ٧٤ - ٧٨ » .
(٢) سورة الأعراف الآيات « ٢٧ ، ٢٨ » .
(٣) صحيح : أخرجه البخارى « ٣٢٤٤ » ومسلم « ٢٨٢٤ » .

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٢) .

هذا هو النعيم الحقيقى الخالد الذى لابد أن يسعى إليه كل عاقل راشد ، قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) ﴾ (٣) .

هكذا نرى أن الزهد ليس ترك الدنيا بالكلية ، ولكن نجعلها وسيلة للوصول إلى الجنة ، وليست غاية ، فتكون فى يده وليست فى قلبه يملكها ولا تملكه ، تأتى إليه ولا يجرى هو وراءها ناسياً ربه ودينه ، يبيع الآخرة بعرض الدنيا الزائل ، فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة ربه ومن أراد الآخرة فعليه بطاعة ربه ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن .

علامة محبة الله للعبد وعلامة محبة العبد للرب :

أما علامة محبة الله للعبد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٤) .

فمن حب الله للعبد : أن يدفع عنه الشواغل عن عبادته ويعينه على الطاعة ويقذف النور فى قلبه ، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، ويحب القرآن وأهل الصلاة يأنس بمناجاته ، ويرضى بقضائه ويصبر على بلائه ، وكذلك لا يهاب

---

(١) سورة فاطر الآية « ٣٣ » .
(٢) سورة الدخان الآيات « ٥١ ، ٥٢ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٤٧ » .
(٥) سورة البقرة الآية « ٢٢٢ » .

الموت ويستعد له ، قال ﷺ : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقائه** » [١].

يحب أوامر الله ونواهيه ، قال ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** » [٢] ، ويحب القرآن ويتلذذ بسماعه وبقراءته لأنه كلام من أحب ، ورسالة منه إليه ، ويحب الرسول ﷺ الذى عرفه بربه ، وأرشده إلى الحبيب ، وعلامة حب الرسول ﷺ طاعته فى كل ما أمر ونهى ، يحب أهل طاعته ويكره أهل المعاصى .

قال ﷺ : « **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان** » [٣] ، لا يملّ العبادة ، يفرح بالوقوف بين يدى الله تعالى مقبلاً عليه بكل جوارحه راجياً عفوه طامعاً فيما عنده من ثواب ، خائفاً وجلاً ألا يقبل منه ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** (٦٠) ﴾ [٤] .

آثار المعاصى :

١ - حرمان العلم ، ولإن العلم نور يقذفه الله فى قلب المؤمن يهديه به إلى صراطه المستقيم ، أما المعصية تطفئ ذلك النور ، فيصبح فى القلب ظلمة لا يرى بها الحق ، وتقوى حتى تظهر على الوجه فيصير أسوداً ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخارى « ٦٥٠٧ » ومسلم « ٢٦٨٣ » ، عزاه الهندى فى كنز العمال « ٢١٧/١ » للحكيم الترمذى وأبى نصر السجزى فى الإبانة ، وقال السجزى : حسن غريب » .

(٢) أخرجه بسنده الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد « ٤٦٩/٤ » رقم « ٢٢٣٩ » ، والبغوى فى شرح السنة « ١٠٤ » وأورده النووى فى الأربعين النووية الحديث « ٤١ » وقال ك حديث صحيح .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود « ٤٦٨١ » .

(٤) سورة المؤمنون الآية « ٦٠ » .

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ (١) .

٢ – حرمان الرزق ، قال تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (٢) ، قال ﷺ : « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** » .

٣ – وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله ، فلا يأنس بذكر الله ، وكذلك بينه وبين الناس لا سيما أهل الصلاح ، ويحرم بركة الانتفاع بهم حتى يجد الوحشة بينه وبين أهله ، وبينه وبين نفسه .

٤ – وهن فى القلب والبدن ، فيصبح ضعيف يقهره أهل التقوى والصلاح .

٥ – حرمان الطاعة فلا يوفق لعمل الصالحات .

٦ – زيادة الإثم ، فمن عقوبة السيئة ، السيئة بعدها ، ومن ثواب الحسنة ، الحسنة بعدها ، فالذى اعتاد المعاصى يصعب عليه مفارقتها ، بل ويدعو إخوانه إليها فيصير هو نفسه شيطاناً ولا يزال يألف المعاصى حتى يسلط الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزاً ، قال تعالى ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ (٣) .

ومن كثرة اعتياده فعل المعاصى لا يستقبحها ولا يستحى منها لا أمام نفسه ولا أمام الناس ، بل يصور له شيطانه أنها متعة وأنه حر يفعل ما يشاء ، ولا يتوب ولا يستغفر وخاصة إذا لم يجد من يستقبحها ويلومه على فعلها ، وإن تاب تكون توبة الكذابين لأنه مصر عليها فلا يتوب الله عليه .

---

(١) سورة الجاثية الآية « ٢٣ » .
(٢) سورة نوح الآية « ١١ » .
(٣) سورة الزخرف الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

قال ﷺ : « **كل أمتي معافى إلا المجاهرون ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل العمل بالليل ويصبح وقد ستره الله فيكشف ستر الله عليه ، ويقول : يافلان** عملت البارحة كذا وكذا » [١] .

٧ – والمعصية سبب لهوان العبد على ربه فلا يكرمه أحد ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** (١٨) ﴾ [٢] ، وإن عظمهم الناس لحاجتهم إليهم فهم يحقرونهم فى قلوبهم ويذمونهم فيقال الفاجر الفاسق العاصى ... إلخ .

٨ – وشؤم الذنوب تعم غيره من الناس إلا الآمرين بالمعروف والناهون عن المنكر فأولئك هم الناجون ، أما الدواب فهى تلعن العاصين ، قال مجاهد : إن البهائم تلعن العاصين إذا أمسك المطر ، كما أنه معلون فى القرآن ، لعنَ الله من أفسد فى الأرض ، من كتم العلم ، ومن قطع الرحم ، والذين يرمون المحصنات ، ولعن ﷺ : « **الراشى والمرتشى وآكل الربا وشارب الخمر** » [٣] ، واللعن يعنى الطرد من رحمة الله كما لُعن إبليس بفسقه واستكباره على أمر الله .

٩ – والملائكة لا تستغفر للعصاة ، إنما لمن اتبع سبيل الله .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخارى « ٦٠٦٩ » ومسلم « ٢٩٩٠ » .
(٢) سورة الحج الآية « ١٨ » .
(٣) « لعن آكل الربا » عند مسلم برقم « ١٥٩٨ » ولعن الراشى والمرتشى عند أحمد « ١٦٤/٢ » وأبو داود « ٣٥٨٠ » والترمذى « ١٣٣٧ » وقال : حديث صحيح ، ولعن شارب الخمر عند أحمد « ٩٧/٢ » وأبو داود « ٣٦٧٤ » .

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) ﴾ [١] .

١٠ – ومن كثرة فعل المعاصى والمجاهرة بها تطفىء الغيرة فى قلوب الناس فلا ينكرونها حتى المؤمنون منهم، فيصبح المنكر معروفاً ويهون فى أعين الناس كما حدث عندما خرجت المرأة سافرة فقلدها الناس ، ثم خلعت الخمار فهان فى نظر الأخريات وقلدوها ، حتى أصبحت عارية تماماً تلبس ما يسمى بالمايوه وتمشى به على شاطىء البحر فلا يُنكر عليها أحد وكان أصلاً تقليداً بالأجانب غير المسلمين ، وهذا ما حذرنا ربنا عز وجل منه ، وحذرنا رسول الله ﷺ وأمرنا بمخالفتهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٢] .

وقال ﷺ : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » [٣] ، أى مثلهم فى الكفر .

وكيف نكفر ونحن فى أيدينا كتاب الله عز وجل فيه آيات بيّنات نزلت فى أمر المسلمات بارتداء الحجاب ، فهو حجة على كل من عصى الله وقد يسّر لنا الله عز وجل فى هذا الزمن قراءته أو سماعه من المذياع أو الكاسيت ، أما الرجال فهم يشجعون المرأة على هذا الفعل ، بل وينهاها عن لبس الحجاب ، أى يأمرون بالمنكر إذا هى أرادت طاعة ربها ، أليس هذا من صفات المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما جاء فى كتاب الله عز وجل

---

(١) سورة غافر الآية « ٧ » .
(٢) سورة آل عمران الآيات « ١٠٠ ، ١٠١ » .
(٣) حسن : أخرجه أحمد « ٢/ ٥٠ » وأبو داود « ٤٠٣١ » .

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [(١)] ، أما ﷺ فقد وصف الرجل الذى لا يغار على نسائه بالديوث وهو لا يشم رائحة الجنة .

١١ – وإذا انطفأت الغيرة من القلب ذهب الحياء وبذهابه يذهب الخير كله لأنه حياة القلوب ، فإذا ذهب مات القلب ، قال ﷺ : « **الحياء خير كله** » [(٢)] .

١٢ – المعاصى تخرج صاحبها من دائرة الإيمان ، قال ﷺ : « لا يزنى الزانى وهو مؤمن » [(٣)] .

وبالتالى يفوته ثواب المؤمنين، ومنها الأجر العظيم ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾ [(٤)] ، فالإيمان سبب كل خير فى الدنيا والآخرة ، والمعاصى سبب كل شر إلا أنها لا تخرجه من الإسلام إلا إذا أصروا استكبروا وأنكر أوامر الله أو ماهو معروف من الدين بالضرورة ونزلت فيه قرآن أو حديث صحيح .

وفى المقابل نجد عباد الله المخلصين الذين أخلصوا العمل لله عز وجل فأخلصهم الله لطاعته وقربهم منه وهى درجة الإحسان ، هؤلاء يصرف الله عنهم الشيطان فليس له عليهم سلطان سواء كانوا شياطين الإنس أو الجن فلا

---

(١) سورة التوبة الآية « ٦٧ » .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) صحيح : أخرجه البخارى « ٢٤٧٥ » ومسلم « ٥٧ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٤٦ » .

يخطر بباليهم فعل المعاصي ولا يقربها ، قال تعالى : ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [(١)] .

أما المؤمن فهو يجاهد نفسه ، أما من اعتاد المعاصي فنفسه هي الأمارة بالسوء وهذا أيضاً لا يأتيه الشيطان ، فقد اطمأن إليه وأصبح هو نفسه شيطاناً مثله يدعو الناس لتقليده حتى يدخلهم مدخله من النار .

١٣ - المعاصي تجعل الجوارح لا تطاوع صاحبها على الطاعة ولا ذكر الله فإذا وقع في شدة أو كرب فإنه لا يذكر الله ولا يتضرع إليه ، وإن ذكره فهو لاهٍ ساهٍ .

١٤ - ومن آثار المعاصي أنها تزيل النعم وتحل بهم النقم ، قال عليّ بن أبي طالب : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ [(٢)] .

فإذا غيّر العبد الطاعة بالمعصية غيّر الله النعمة بالنقمة ، وإذا غيّر المعصية بالطاعة ، غيّر الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز .

١٥ - أي عقل لمن آثر الفانية على الباقية ، فالعقل هو الذي تقوم عليه الحجة ، قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٦٥) ﴾ [(٣)] ، فالمعصية تؤثر في

---

(١) سورة ص الآية « ٨٣ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .

نقصان العقل فلا تجد عاقلين أحدهما : عاصٍ والآخر مطيع ، إلا كان عقل المطيع أرجح ورأيه أسد ، لذا كان خطاب القرآن للأولى الألباب ، قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ [1] .

١٦ – المعاصى تستدعى نسيان الله لعبده ويوكله إلى نفسه ، فلا يوفق لما يصلح حاله فى الدنيا ويفتقر حاله ، ويذل وإن لم يفتقر فلا يتمتع بما جمع من مال ويوكله إلى نفسه الأمارة بالسوء وشيطانه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [2] ، فيبعد عنه الملك الموكل به الذى يعينه على فعل الخير ، وإصلاح حاله فى الدنيا والآخرة ، ويقيض الله له شيطاناً قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾ [3] .

١٧ – كثرة المعاصى تجعل القلب قاسياً وتُنزع منه الرحمة وخاصة عند ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتتنزل عليهم لعنة الله ، واللعن هو الطرد من رحمة الله ، ومن آثارها قساوة القلب .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٩٧ » .
(٢) سورة الحشر الآيات « ١٨ ، ١٩ » .
(٣) سورة فاطر الآية « ٦ » .

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ [١].

وقال ﷺ : « **لما وقت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بضعهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصو وكانوا يعتدون** » [٢].

وكيف تنتظر رحمة فى قلوب من لم يعرف لله حقاً وبعدوا عن الدين نتيجة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ كيف يبرُّ ابناً أباه وهو لم يعلم كيف يبّر ربه ويشكره ويعبده ؟ وكيف تحنو أم على ولدها وهى لاهية عن عبادة ربها مشغولة بالموضة ومشاهدة الأفلام ؟ .

أما الجار فلا يسأل عن جاره ولا حتى يعرف اسمه ، والأقارب كلٌ مشغول بحاله أو مشغول بحسد أقاربه ولا يصل رحمه ، وإن وصلها فلحاجة له عندهم ، هذه هى آثار اللعنة وهكذا ضرب الله قلوب المسلمين بعضهم ببعض لتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبالتالى بعدهم عن ربهم وطاعته ، فالإيمان يرقق القلب ويملأه رحمة وشفقة لا بالإنسان فقط ولكن يشمل الرحمة بالحيوان والطير ، فالكل يشكو ولا أحد يبحث عن سبب هذ البلاء ، أما إذا تدبرنا القرآن لوجدنا فيه الحل لكل ما نشكو منه .

---

(١) سورة المائدة الآية « ١٣ » .
(٢) سبق تخريجه .

كيف نتخذ الشيطان عدواً ونحذره ؟!!

لا سبيل إلى ذلك إلا بتعلم علوم الدين حتى نعرف الحلال والحرام وأوامر الله عز وجل فنتبعها ونواهيه فنتجنبها ، لذا قال الحبيب ﷺ : « **عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** » [١] ، لأن العابد من الممكن أن يقع فى الغيبة والفحش فى الكلام دون أن يدرى ، ويطفف الكيل والميزان ويصور له الشيطان أنه على حق يأكل المال الحرام دون أن يدرى .

أما العالم وإن عبد الله أقل إلا أنه يتكلم بما يرضى الله يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه ، يجتنب المال الحرام ، وهكذا لا يستطيع الشيطان أن يجد إليه سبيلاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [٢] .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)** ﴾ [٣] .

أى تذكروا أوامر الله ونواهيه فيتبين لهم أنه مسّ من الشيطان فلا يتبعوه ، وأما الفاسق والكافر وهم إخوان الشياطين فإن الشياطين تمدهم فى الغي ، أى فى الضلال فلا يبصروا أنه ضلال كما أبصر المتقون ، والتقوى لا تأتى إلا بالعلم ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) سورة فاطر الآية « ٢٨ » .
(٣) سورة الأعراف الآيات « ٢٠١ ، ٢٠٢ » .

وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [١] ، أى أن تتقوا فيما تعلمون يعلمكم ما تفرقون به بين الحق والباطل ويغفر لكم ذنوبكم.

الإكثار من ذكر الله التسبيح والتهليل والتحميد ، وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وخاصة فى أماكن الغفلة كالسوق وغيره ، فمن قالها حين يدخل السوق كتب له ألف حسنة ومحى عنه مثلها ورفعت درجة مثلها .

فنسيان ذكر الله هى الغفلة ، والغفلة هى من أعظم مداخل الشيطان ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [٢] ، والذكر لا يكون باللسان فقط ولكن بالقلب والعقل والجوارح فى الطاعة ، أى اذكرونى بالعبادة أذكركم بالمغفرة .

الإكثار من الاستغفار فهو يهلك الشيطان .

مجالسة أهل التقوى والصلاح والبعد عن مجالسة أهل الفسق والفجور ، قال تعالى : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ ﴾ [٣] ، وقال ﷺ : **« مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل نافخ الكير وحامل المسك ، فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشم منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرقك أو تشم منه ريحاً خبيثاً »** [٤] .

فالجليس الصالح تتعلم منه العلم ويأمرك بالخير وينهاك عن السوء كما تتنزل عليك الرحمات بمجالسة الصالحين وأهل الذكر .

(١) سورة الأنفال الآية « ٢٩ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٥٢ » .
(٣) سورة الفرقان الآية « ٢٨ » .
(٤) صحيح : أخرجه البخارى « ٥٥٣٤ » ومسلم « ٢٦٢٨ » .

قـال ﷺ : « **إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتينا على عبادك يعظمونك ويسبحونك ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك ويسألونك ، فيقول تبارك وتعالى : غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)** ﴾ [(٢)] ، وقـيل فى تفسير هذه الآية هو شارب الخمر .

ومجالسة أهل السوء يعنى رضاك عن فعلهم ، والساكت عن الحق شيطان أخرس ، فإما أن تنهاهم حتى ينتهوا أو تترك مجلسهم ، فمجالس أهل السوء تحفها الشياطين .

البسملة عند دخول البيت وعند الأكل وعند كل عمل وعند الاستيقاظ من النوم ، قال ﷺ : « **يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد ، إذا نام فإذا استيقظ وذكر الله حلت عقدة ، وإذا توضأ حلت عقدة ، وإذا صلى حلت عقدة** » [(٣)] .

وقال ﷺ : « **إن الرجل إذا دخل البيت وذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا لم يذكر الله**

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد « ٣٥٩/٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٤٠ » .
(٣) صحيح : أخرجه البخارى « ١١٤٢ » .

عند دخول البيت ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند الطعام قال : أدركتم المبيت والعشاء » [١] .

التوكل على الله فى كل أموره بعد الأخذ بالأسباب والاستخارة ثم الرضا بما قسمه الله له وعدم القنوط واليأس من رحمة الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)** ﴾ [٢] . .

الصلاة فى أول وقتها ، سُئل ﷺ : « أى الأعمال أفضل ؟ ، قال : **الصلاة لوقتها »** [٣] ، فالمحافظة على الصلاة معناها أنك تلبى نداء ربك بالعبادة ، فإذا سجدت قال الشيطان : يا ويله أمره ربه بالسجود فسجد ، وأمرنى بالسجود لم أسجد ، ويحثو التراب على رأسه ، قال تعالى : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)** ﴾ [٤] ، ولعظم مكانة الصلاة لفضلها يخنس الشيطان فلا يأمره بفحشاء أو منكر ، كما أنهن مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر .

شكر الله على كل حال ، فالشيطان أقسم أن يحول بين بنى آدم وبين طاعة ربهم حتى لا يشكروه ، فالطاعة شكر ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ**

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود «٣٧٦٥» وابن ماجة «٣٨٨٧» وأحمد «٣٤٦/٣» .
(٢) سورة النحل الآيات «٩٨ ، ٩٩» .
(٣) ضعيف : أخرجه أحمد «٣٧٤/٦» وأبو داود «٤٢٦» والترمذى «١٧٠» .
(٤) سورة العنكبوت الآية «٤٥» .

خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ (١) .

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين الذاكرين الشاكرين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان آمين آمين .

ولا تحسبنّ أن الشيطان له قوة وسلطان إلا على ضعاف الإيمان الذين يتبعون الشهوات وأهوائهم لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (١١٣) ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣) ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف الآيات « ١٦ ، ١٧ » .
(٢) سورة الصافات الآيات « ٢٧ - ٣٠ » .
(٣) سورة النساء الآية « ٧٦ » .
(٤) سورة الأنعام الآيات « ١١٢ - ١١٣ » .
(٥) سورة النساء الآية « ٨٣ » .

فمن رحمة الله وفضله أن وكل بابن آدم ملك يعينه على كيد الشيطان ، وقد يتساءل أحدنا لماذا لا يحمى الله كل بنى آدم من الشيطان ؟ .

والإجابة فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)** ﴾ [١] ، فالفاسق والعاصى المصر على المعصية لا يؤمن بالآخرة أو هو منها فى شك ولا يعمل لها حساب وإلا ماكان أطاع الشيطان وعصى ربه ، أما المؤمن الذى يطيع ربه فهو مؤمن بالآخرة لذا استعد لها بالعمل الصالح وكل من أطاع الشيطان فقد عبده .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)** ﴾ [٢] .

وهو عبد الشيطان لأنه عبد هواه ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣)** ﴾ [٣] .

وأخيراً قراءة القرآن والمداومة عليه وتدبر معانيه والعمل به فهو خير عون لنا على شياطين الإنس والجن ، وهو الأنيس فى الوحشة ، قال ﷺ : **« اقرأوا سورة البقرة فى بيوتكم ، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يقرأ فيه سورة البقرة »** [٤] .

---

(١) سورة سبأ الآيات « ٢٠ ، ٢١ » .
(٢) سورة يس الآية « ٦٠ ، ٦١ » .
(٣) سورة الجاثية الآية « ٢٣ » .
(٤) صحيح : أخرجه مسلم « ٧٨٠ » ولفظه « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت يقرأ فيه سورة البقرة » .

الخاتمة :

وهكذا نجد أن العقيدة الصحيحة لابد أن تقوم على حُسن الظن بالله عز وجل، قال ﷺ : « **لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل** » [١] .

فالخير كل الخير من الله عز وجل ، والشر كل الشر من الشيطان ، ولا يظلم ربك أحداً ، وماربك بظلام للعبيد .

قال ﷺ عن رب العزة : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرنى أغفر لكم ، ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد سألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** » [٢] .

ونختم بما بدأنا به أن الحقيقة التى أكثر الناس عنها غافلين ، أننا خلقنا للآخرة وأن الدنيا دار ممر لا دار مقر ، رحلة قصيرة مهما طالت يقطعها كل

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٨٧٧ » .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم « ٢٥٧٧ » .

إنسان ، دار ابتلاء والفوز كل الفوز لمن نجح فيه وفاز بالجنة ، والخسران كل الخسران لمن رسب فيه ألا ذلك هو الخسران المبين ، فإما نعيم مقيم ، وإما عذاب مقيم ، أعاذنا الله جميعاً منه .

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ [١] .

فلو أن الإنسان أيقن بهذه الحقيقة لعاش حياته خائفاً وجلاً من هذا اليوم ولحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه ولاستغفر وتاب وأناب واجتنب الآثام وسارع إلى فعل الخيرات وما آثر الفانية على الباقية .

اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونرجو رحمتك التى وسعت كل شىء يا أرحم الراحمين يارب العالمين .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ [٢] .

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] .

فالحمد لله أولاً وآخراً الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على رسول الله الذى بلغ عن ربه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفقيرة إلى الله

د / سهير العلايلي

---

(١) سورة النازعات الآيات ٣٧ - ٤١ .

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

الفهرس

صدر حديثاً من مطبوعات دار الإيمان

العنوان	المؤلف
صناعة الحياة	سلمان العودة
القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة	عبد الرحمن عبد الخالق
هموم فتاة ملتزمة	سلمان العودة
حتى لا تغرق السفينة	سلمان العودة
الفتور (المظاهر - الأسباب - العلاج)	ناصر بن سليمان العمر
البث المباشر حقائق وأرقام	ناصر بن سليمان العمر
حقيقة الانتصار	ناصر بن سليمان العمر
فقه الواقع	ناصر بن سليمان العمر
امتحان القلوب	ناصر بن سليمان العمر
الحكمة	ناصر بن سليمان العمر
ادفعي زوجك إلى النجاح	عادل فتحي عبد الله
كيف تفكر بطريقة علمية	عادل فتحي عبد الله
محرمات استهانت بها النساء	عادل فتحي عبد الله
فقه الخلاف (قضية الخلاف بين حملة الشريعة)	مجدى قاسم
توجيهات ووصايا للمرأة المسلمة	محمد حامد محمد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦